هل امتلكت مصر رفاهية عدم الاقتراض 03

هكذا تدير الصين تحولاتها بنجاح وثبات 05

سعي سعودي لاقصاء الإمارات من القرن الأفريقي 07

مع تساقط القنابل الإسرائيلية قامت عائلتى بعمل من أعمال التمرد: زرعنا حديقة فى غزة!

وسط الخطر الدائم، كانت كل بذرة نزرعها بمثابة عمل صغير من أعمال المقاومة. ومع نموها، وفرت لنا الطعام، وشعورًا بالإنجاز وسط الدمار.

هكذا استهلت الكاتبة المقيمة فى غزة، تقوى أحمد الواوى مقالتها فى الجارديان البريطانية، واصفةً كيف تجد الحياة طريقها بأناقة وسط الأوقات بالغة الصعوبة، نستعرض المقال فيما يلي:-

ركض أخى مازن، ذو الاثنى عشر عامًا، إلى المطبخ وهو يصيح بأن الباذنجان قد بدأ ينبت. رفع البراعم الخضراء الصغيرة، ويداه ترتجفان. هرعنا أنا وأخى الأكبر محمد إلى الخارج، نضحك رغم الخوف الذى أصبح رفيقنا الدائم. كان كل برعم بمثابة نصر.

قبل أن تُظلم سماء غزة بالدخانٍ وتهتز الأرض بالقنابل، كانت حديقتنا لوحة غنّاء من الأشجار والنباتات، كل ورقة وغصن منها محفور فى ذاكرة عائلتنا. كانت الطيور ترقص فوق الأغصان. خمس أشجار عتيقة شامخة، جذوعها ملتوية، نحتتها الشمس والريح، وأغصانها مثقلة بثمار الزيتون الأسود والأخضر. أشجار الفاكهة تملأ الأجواء برائحة عطرة - برتقال، ليمون، تين عريض الأوراق، وكليمنتين صغير.

فى خضم القصف الإسرائيلي، قام أخى محمد ووالدنا بعمل تمرد صغير ولكنه عميق. قررا الزراعة - لزيادة محصولنا الضئيل. اشتروا شتلات وبذورًا من مزارع محلي، كان يعتنى بقطعة أرض خضراء نادرة ويبيع النباتات التى يزرعها. اشتروا ٣٠ بذرة ذرة، سعر الواحدة ١٥ شيكلًا، أى ما يعادل ٥ دولارات تقريبًا؛ وثلاث شتلات فلفل، سعر الواحدة دولارين؛ وشتلتين من الباذنجان؛ عودان من كلّ من النعناع والريحان والعين جارادا (عشبة محلية معروفة برائحتها المنعشة) والجرجير، كل ذلك بدولار واحد فقط؛ وأربع بذور بطاطا.

عندما حلّت الإبادة الجماعية، دمّرت المباني، وألحقت دمارًا هائلًا بالأسواق، وعطّلت الإمدادات، ورفعت الأسعار إلى مستويات غير معقولة. أصبح الطعام ترفًا، وتحوّل فعل الأكل البسيط إلى صراع يومي. كان وطأة الجوع ثقيلة، تسيطر على كل جوانب حياتنا. كان رفيقًا دائمًا، يذكّرنا بما نفتقده ومدى شعورنا بالعجز فى كثير من الأحيان.

زرع أبى وشقيقى كل نبتة بعناية، وغطّيا جذورها بالتراب، وضغطا عليها برفق لتثبيتها. مثّلت البذور رهانًا ضدّ الصعاب، واختبارًا للإيمان بأنّ الحياة يمكن أن تزدهر حتى فى هذا الوقت. قال أبى وهو يضغط عليها برفق فى التربة: "أن تزرع هو أن تؤمن بالغد"

حملا دلاءً ثقيلة، ونقلا الماء للحديقة من مسافة تزيد عن ٢٠٠ متر، حيث كان الجيران يصطفّون فى طوابير لملء الجرار. الماء، الذى كان متوفرًا بكثرة من صنابير البلدية، أصبح كنزًا صعب المرام..

كان العمل مُرهقًا. والحرارة لا ترحم. ورغم الدوار والتعب، كانوا يسقون الشتلات ويعتنون بها ويمهدون لها الطريق يومًا بعد يوم، لتنمو وتتمدد نحو الشمس. كل قطرة ماء كانت بمثابة مقاومة صغيرة.

كانت نباتات مثل الطماطم والخيار، التى تتطلب بيوتًا محمية ("صوبات") للبقاء على قيد الحياة فى ظروف غزة القاسية، قد فشلت بالفعل. كان طريق الحديقة مليئًا بالمصاعب. يتألم قلب أخى عندما يتذكر شتلة المانجو التى رعاها لمدة عشرة أشهر. شقّ البذرة، ونقعها، ولفّها لمدة أسبوع، وبعد أن رأى البرعم، زرعها. لمدة شهرين، كان يسقيها بانتظام. لكن الإبادة الجماعية أجبرت عائلتنا على الفرار إلى رفح. عندما عدنا بعد خمسة أشهر، كانت شتلة المانجو قد ماتت.

لذا اختار أبى وشقيقى نباتات تنمو بسهولة أكبر، نباتات قادرةٍ على النّجاح حتى فىً أصعب الظروف.

وكانت الذرة هى الأبرز. ثلاثون حبة، اشتريناها كبذور فشار، نمت لتصبح سيقانًا خضراء شامخة تصل إلى صدري. وأنا أقف بينها، شعرت بفخر هادئ.

على الرغم من الظروف القاسية، ونقص الماء، والخطر الدائم، تمكنت كل نبتة من النمو، موفرةً لنا الطعام وشعورًا بالإنجاز وسط الدمار.

وسرعان ما تبعتها البطاطا. حصدناها، وسلقناها أو قليناها، فأصبحت وجبةً ازدادت غنى بفضل أصلها. وشربنا شاى النعناع الطازج، وأضفى نبات عين جارادا نكهةً لاذعةً وحارةً على سلطاتنا.

واليوم، فى ظلّ تفاقم الندرة واشتداد العنف، حتى فى ظلّ وقف إطلاق النار المزعوم، لا تزال الحديقة تنبض بالحياة. إنها مزيج من أشجارها العريقة - التين والبرتقال والليمون والزيتون - ومحاصيلنا الجديدة. فى أرض مزّقتها الإبادة الجماعية، تصمد الحديقةً - ورقةً ورقةً، وجذراً جذراً. إنها سجلٌ للصمود والتمرد الهادئ.



بقلم: تقوي أحمد الواوي
ترجمة: فدوى مجدي

هذا المقال مترجم من الجارديان، المصدر:
As the Israeli bombs fell, my family committed an act of rebellion: we planted a garden in Gaza | Taqwa Ahmed al-Wawi | The Guardian

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الإلكترونى
www.elmashhad.online

العدد 344 - السنة الرابعة عشرة
الخميس من 15 يناير 2026م-
28 رجب 1447هـ
12 صفحة - الثمن: 190 قرشا

المشهد
لا سقف للحرية

هل تريد السعودية الطائرات الباكستانية لاستخدامها فى السودان ضد الإمارات؟!

تجرى المملكة العربية السعودية وباكستان محادثات بشأن صفقة كبرى لشراء طائرات مقاتلة، ويأتى ذلك بالتوازى مع أنباء عن تعميق الربط بين السياسات الأمنية للبلدين، وربما حتى فى المجال النووي، وسط شائعات متزايدة تفيد بأن باكستان مدّت مظلة نووية لحماية المملكة العربية السعودية.

كما تتكاثر التقارير التى تشير إلى أنِ السعودية وباكستان، وهما حليفان وثيقان أصلا، تعملان الآن على إدخال تركيا، القوة الإقليمية المؤثرة، فيما يبدو أنه تحالف أمنى إقليمى ثلاثى يهدف إلى ردع كلّ من إسرائيل وإيران.

وقد تُحوّل الرياض فى ظل هذه التحركات، نحو ملياري دولار من القروض السعودية المقدّمة لباكستان إلى صفقة عسكرية ضخمة لشراء طائرات JF-١٧ Thunder المقاتلة من الجيل الرابع، المرخّصة صينيًا، بقيمة إجمالية تُقدّر بنحو أربعة مليارات دولار، تشمل المعدات والدعم اللوجستى للطائرات.

لكن من غير المتوقع ان تستخدم القوات المسلحة السعودية هذه الطائرات ضمن اسطولها القتالي، بل قد تقوم الرياض بإعادة تجهيز هذه الطائرات ثم تبيعها إلى الحكومة العسكرية السودانية برئاسة عبد الفتاح البرهان، المنخرطة فى حرب أهلية شرسة ضد زعيم الميليشيا فى غرب السودان محمد حمدان دقلو، المعروف بـ "حميدتي"، ويقال ان الرياض وكجزء من هذه الصفقة، تخطط لتمويل هذا البيع ضمن مهمة أوسع لدعم الخرطوم فى خضم الحرب الأهلية المستمرة.

السودان خط المواجهة الجديد

لقد تحوّلت الحرب الأهلية السودانية إلى حرب بالوكالة ذات طابع خاص بين السعودية ودولة الإمارات، إذ تدعم الرياض الحكومة المعترف بها دوليًا فى الخرطوم، بينما تدعم أبوظبى قوات الدعم السريع التابعة لحميدتي.

تنظر الرياض إلى السودان بوصفه ركيزة استراتيجية محورية لمصالحها وأهدافها الإقليمية، ولذلك، لن تسمح بسقوط الحكومة السودانية، وهو ما يفسّر تفكيرها فى تمويل صفقة بيع طائرات JF-١٧ Thunder، المرخّصة صينيًا والمقتناة عبر باكستان، إلى السودان.

وتقول وكالة «رويترز» إن باكستان كانت تتفاوض على حزمة دفاعية منفصلة بقيمة ١,٥ مليار دولار مع السودان، قد تشمل بيع طائرات JF-١٧، وطائرات مسيّرة، وطائرات هجوم خفيفة، إلى جانب أنظمة دفاع جوى متقدمة، دعمًا لجهود السودان فى القتال ضد قوات الدعم السريع.

ومن المثير للاهتمام أن باكستان بدأت فى الترويج لمنتجاتها الدفاعية فى الأسواق العالمية منذ أن أبدت قوةً ملحوظة فى الدفاع عن نفسها ضد الهند خلال الحربٍ القصيرة التى اندلعت فى مايو الماضي، خاصةً قواتها الجوية، التى استخدمت طائرات وصواريخ صينية الصنع، والآن تسعى باكستان بقوة لبيع أنظمتها المرخّصة صينيًا فى السوق العالمية للأسلحة، بهدف منافسة الشركات الغربية وتعزيز قاعدة صناعتها الدفاعية وتقنياتها.

وبحسب آخر المعلومات، لم يُبرم أى اتفاق رسمى بعد، وهناك تقارير عديدة تشير إلى أن السعودية والحكومة السودانية، إلى جانب الحكومة الباكستانية، جميعهم فى مفاوضات، لكن لم تُوقّع أى عقود نهائية.

والأكثر من ذلك، لا يُعرف بعد عدد طائرات JF-١٧ التى قد تشملها الصفقة، أو ما إذا كانت ستنتقل من باكستان إلى السعودية أولا، أم ستذهب مباشرة من باكستان إلى السودان.



اللاعب الدفاعى الوحيد

أثارت الصفقة جدلا واسعًا فى واشنطن بسبب القرب العسكرى الكبير بين السعودية والولايات المتحدة وشركائها الأوروبيين، فالجيش السعودى يعتمد بشكل كبير على المعدات العسكرية الأمريكية، وهذه الأنظمة الأمريكية لا تتوافق تقنيًا مع الأنظمة الصينية مثل طائرات جى اف ١٧، كما تمثل السعودية نحو ٢٤٪ من إجمالى صادرات الأسلحة الأمريكية خلال السنوات الخمس الماضية، وبعبارة أخرى، كان هناك قلق فى واشنطن من أن الرياض قد تسعى لتنويع ترسانتها بشراء أنظمة صينية مرخّصة من حليف أمريكى مثل باكستان، لتجنب الانتقادات المباشرة، ولو حدث ذلك، لكان صناعة الأسلحة الأمريكية تعرضت لأضرار كبيرة.

ومع ذلك، يبدو أن ما يحدث حاليًا ليس هجومًا مباشرًا على الشركات الأمريكية، بل مجرد دور وسيط من جانب السعوديين لدعم مصالحهم كما يرونها، إذ أظهرت الرياض مرارًا استعدادها لدفع أسعار مرتفعة مقابل الحصول على أحدث الأنظمة الأمريكية المتطورة، بدلًا من اللجوء إلى البدائل الصينية الأرخص.

كم المدة اللازمة لتشترى السعودية؟

نظرًا للتكلفة العالية للأسلحة والمنصات الأمريكية، وحقيقة أن السعودية تبتعد عن الولايات المتحدة على خلفية حرب إسرائيل فى غزة وعدم الاستقرار فى إيران، قد يقرر القادة السعوديون فى نهاية المطاف شراء بعض الأنظمة الصينية من باكستان لاستخدامها بأنفسهم.

فبعد كل شيء، هذا بالضبط ما فعله الباكستانيون، وقد أثبتت الأنظمة الصينية الأرخص فعاليتها فى مكون الحرب الجوية خلال الحرب الهندية - الباكستانية، ولذلك ما الذى يمنع السعودية من اتخاذ قرار تنويع ترسانتها فى مرحلة ما من مسيرتها العسكرية؟

براندون ج. ويشرت
محرر أول للأمن القومى فى مجلة ذناشونال انترنست

سابقة: السفير الكويتى فى بريطانيا يفقد جنسيته بمرسوم أميري



قالت الجريدة الرسمية الكويتية إن الكويت سحبت جنسية سفيرها لدى المملكة المتحدة بدر محمد العوضي، فى قرار نادر يترك دبلوماسيًا على رأس عمله من دون جنسية الدولة التى كان معتمدًا لتمثيلها.

وأضافت «الكويت» أن مرسومًا أميريًا صدر بإسقاط جنسية العوضي، بناءً على توصية من اللجنة العليا للتحقيق فى الجنسية الكويتية برئاسة وزير الداخلية الشيخ فهد اليوسف.

وذكرت مصادر مطلعة أن القرار اتُّخذ «بالتبعية»، عقب إسقاط جنسية والد السفير، محمد إبراهيم العوضي، وهو ضابط أمن سابق، بعد وفاته.

وبموجب قانون الجنسية الكويتي، يجوز سحب الجنسية بأثر رجعى إذا ثبت أنها مُنحت على أساس معلومات غير صحيحة أو تزوير فى الملف الأصلي، ما يؤدى تلقائيًا إلى فقدان الجنسية لمن اكتسبوها بالتبعية.

ويضع القرار وزارة الخارجية الكويتية فى موقف حساس، إذ كان العوضى يشغل منصب سفير الكويت فى لندن، إحدى أبرز العواصم الدبلوماسية فى العالم، وكان يمثّل بلاده رسميًا وقت صدور المرسوم.

ولم يصدر عن العوضى أى تعليق رسمى حتى الآن، وقالت مصادر دبلوماسية إنه قد يلتزم الصمت الإدارى ريثما تُستكمل ترتيبات عودته إلى الكويت أو بحث أى مسارات قانونية محتملة، مشيرة إلى أن قرارات الجنسية فى الكويت تُعد من أعمال السيادة ولا تخضع عادةً للطعن القضائي.

وتوقفت الحسابات الرسمية للعوضى على وسائل التواصل الاجتماعى عن النشاط منذ تداول خبر إسقاط جنسيته.

ويأتى هذا التطور فى إطار حملة واسعة أطلقتها الحكومة الكويتية منذ عام ٢٠٢٤ لمراجعة سجلات الجنسية، شملت آلاف الحالات، من بينهم نواب سابقون، وضباط، وأكاديميون، ومسؤولون ودبلوماسيون.

وتقول السلطات إن الحملة تهدف إلى تصحيح مخالفات قانونية وحماية الهوية الوطنية، بينما تحذّر منظمات حقوقية من أنها تسهم فى اتساع دائرة المعرّضين لانعدام الجنسية، فى ظل مناخ سياسى مشدّد أعقب حل البرلمان وتعليق بعض المواد الدستورية العام الماضي.

لماذا تختلف تأثيرات نزلات البرد من شخص إلى أخر؟



واشنطن بوست

عندما تجتاح نزلةُ البرد الشائعة أسرةً ما، يمكن أن تخلف مسارًا غير متكافئ على نحو لافت من الأعراض.

فالفيروس الانفي المسبّب للبرد، قد لا يتعدّى إحداث عطسة خفيفة لدى شخص، بينما يتسبّب لدى آخر في أسبوع كامل من المعاناة مع انسداد الأنف، وقد يثير لدى آخرين سعالًا وصعوبة في التنفّس قد تفضي إلى دخول المستشفى.

لفهم كيف تتطوّر هذه الإزعاجات الشتوية، ولماذا تتباين على هذا النحو، وكيف يمكن التخفيف من حدّتها، عمد باحثون في كلية ييل للطب إلى استنبات نماذج مصغّرة للممرات الهوائية الأنفية، واشرفوا طوال أربعة أسابيع على نمو خلايا جذعية أنفية لتتحوّل إلى عضيات (أورغانويدات)، وهي نسخ صغيرة من الواجهة بين أنوفنا والهواء، تضم خلايا تُنتج المخاط أو خلايا تحمل زُغيبات دقيقة تُسمّى الأهداب، تنبض بإيقاع متموّج لتحريك المخاط والفضلات، ثم أصاب العلماء هذا النموذج بفيروس أنفي، وهو سبب شائع لنزلات البرد، وتوصّل الباحثون بعد فحص آلاف الخلايا الفردية، إلى أن العامل الحاسم ليس الفيروس ذاته، بل تعقيدات الاستجابة داخل آلاف خلايا الممرات الأنفية، التي تحدّد ما إذا كان الزكام سيُقمع سريعًا أم سيتفاقم إلى أمر أكثر خطورة.

ففيٍ دراسة نُشرت يوم الاثنين الماضي في مجلة Cell Press Blue، قال الباحثون إن الإنتاج السريع لبروتين يُسمّى (الإنترفيرون) من الخلايا المصابة أبقى الفيروس الانفي تحت السيطرة، ما سمح له بإصابة أقل من ٢٪ من الخلايا، وعندما كبَحوا الإنترفيرون، أُصيبت قرابة ثلث الخلايا، وتكاثر الفيروس، عندها تدخّل مستشعر مناعي مختلف، وارتفعت الجزيئات المرتبطة بالالتهاب، ودخل إنتاج المخاط في حالة افراط، وتباطأ نبض الأهداب.

ويقول باتريك ميتشل، الأستاذ المساعد في علم الأحياء الدقيقة بجامعة واشنطن، الذي لم يشارك في الدراسة: "جزء من سبب قوة نظامهم النموذجي هو أنه اختزالي؛ إذ يتيح لهم كشف الكيفية التي تكون بها هذه المسارات إمّا مترابطة، أو كيف يمكن لأحدها أن يتولّى الدور في غياب الآخر".

من جانبه، يقول سيباستيان جونستون، أستاذ طب الجهاز التنفّسي والحساسية في المعهد الوطني للقلب والرئة بكلية إمبريال في لندن، والذي لم يشارك أيضًا في الدراسة، إن جدية العمل لا تكمن في أي نتيجة منفردة، بل في الطريقة التي يجمع بها القطع معًا ليضيء التسجيل الدقيق لاستجابة الجهاز المناعي لعدوى الفيروس.

ويضيف جونستون: "ما يفعله هذا النظام هو أنه يجمع القصة في صورة شاملة ومتقنة للغاية مستخدمًا أحدث التقنيات" ويتابع "إنه عمل جميل بالفعل، وقد أوصل الرسالة على النحو الأمثل تمامًا".

السعي الطويل لإيجاد علاج لنزلة البرد الشائعة

ليس من المستغرب أن تكون الإنترفيرونات (مجموعة من البروتينات التي تطلقها الخلايا عند إصابتها بفيروس) عنصرًا أساسيًا في الاستجابة الأولية للعدوى، فقد بدأت فكرة استخدام هذه العائلة من البروتينات التي يطلقها الجسم لمكافحة الأمراض، كعلاج لنزلة البرد الشائعة تكتسب زخمًا في أوائل ثمانينيات القرن الماضي، حين ساد أملٌ بأن يكون علاج جميع الالتهابات الفيروسية في متناول اليد، غير أن الجهود الرامية إلى استخدام الإنترفيرون علاجًا للبرد تعقّدت بسبب آثاره الجانبية، وبسبب صعوبة توقيت إعطائه في مرحلة مبكرة كافية من العدوى.

وتقول إيلين فوكسمن، الأستاذة المشاركة في طب المختبرات وعلم المناعة الحيوية بجامعة ييل، التي قادت هذا العمل: "يُعدّ الفيروس الانفي موضوعًا صعبًا للدراسة، فهو على الأرجح أكثر الفيروسات التنفّسية شيوعًا لدى البشر، لكنه لا يُصيب الحيوانات الأخرى فعليًا"، وتتيح النماذج التي تطوّرها فوكسمن تفكيك مسار العدوى خليةً بعد اخرى، وفهم كيفية نشوئها وكيفية إبقائها تحت السيطرة، بما يفتح باب الأمل أمام علاجات محتملة، وتضيف: "المفتاح هو كيفية تهيئة تلك الاستجابة لتحدث".

ويأمل فريقها في فهم العوامل التي تؤدي إلى استجابة قوية للإنترفيرون لدى بعض الأشخاص دون غيرهم، كما يثير اهتمامها أن خلايا الممرات الهوائية، عندما تُحجب استجابة الإنترفيرون، تستشعر الفيروس عبر وجود إنزيم فيروسي مختلف، ما يطلق استجابة التهابية قد تشكّل هي الأخرى هدفًا علاجيًا.

وتقول فوكسمن: "يتسبّب ذلك في إنتاج كميات كبيرة من المخاط، والسعال والعطاس، وإنتاج المخاط هو الطريقة التي ينتشر بها الفيروس"، وأضافت: "عندما تحدث هذه الأعراض في الرئة، فإنها تسدّ المجرى الهوائي، وعندما تحدث في الأنف، فهي ما يسبّب نزلة البرد"، وهناك سبب يجعل نزلة البرد تحديًا صعب الحل: ففصل الاستجابات المناعية لمعرفة أيّها مفيد، وأيّها يساعد على السيطرة على العدوى، وأيّها يسهم في زيادة حدّة الأعراض، ليس أمرًا بسيطًا.

وتقول فوكسمن في الختام: "لو كانت هذه مشكلة سهلة الحل، لكانت قد حُلّت منذ زمن بعيد، فالطريقة الأنيقة التي يحارب بها الجسم هذه العدوى في وقت مبكر جدًا، وبشكل محدود للغاية قبل أن تتفاقم، ليست شيئًا نستطيع محاكاته في الوقت الراهن".

سعر النسخة فى الدول العربية الكويت ٤٠٠ فلس - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٤٠٠ فلس - قطر ٤ريالات - الامارات ٤ دراهم - عمان ٤٠٠ بيزة - الأردن ٤٠٠ فلس - تونس ٦٠٠ مليم - فلسطين ٠,٣ دولار - لبنان ١٥٠٠٠ليرة - اليمن ٤٠ ريال- المملكة المتحدة ٢ جيك

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

من ذاكرة الكتابة

مصطفى أمين يكتب: مَن قتل كامِل الشناوي؟

كان الشاعر كامل الشناوى فى شبابه يرتدى العمامة والجبة والقفطان، وكان طالبا فى الأزهر، يهرب من حى سيدنا الحسين حيث المساجد والمآذن والدروس الدينية، ويذهب إلى شارع عماد الدين حيث المسارح ودور السينما وصالة بديعة.

وكان منظر كامل عجيباً بعمامته الكبيرة وجسمه الضخم وهو جالس فى قهوة الفن بشارع عماد الدين بين كبار الممثلين وكبار الممثلات وكبار النقاد والصحفيين.

ولم يلبث كامل حتى خلع الجبة والقفطان وارتدى الجاكتة والبنطلون، وترك الأزهر الشريف والتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية، ثم هجر دروس القانون كما هجر دروس الدين، وقرر أن يعيش شاعرا فنانا يعيش فى بيوت الشعر وفى دواوين الشعراء وكان ابرز صفاته خفة دمه، يقول النكتة فتصبح على كل لسان، كأنها أغنية من أغانى أم كلثوم أو عبد الوهاب!


الشناوي ونجاة ومصطفى أمين




كامل الشناوي ونجاة.

> كان كامل متقلباً يحب ثم يكره ثم يحب من جديد، يصنع التمثال ويحطم الصنم، ثم يعود ليجمع الأنقاض ليبنى ناطحة سحاب

> أحب مرة نجمة سينمائية فاتنة، وكنت أدخل مكتبه فيقول لي: (القاهرة نائمة الآن فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا تستيقظ)

> كان كامل يحاول بأى طريقة أن يعود إلى نجاة، يمدحها ويشتمها، يركع أمامها ويدوسها بقدميه، يعبدها ويلعنها، وكانت تجد متعة أن تعبث به

> نجاة: أنا رقيقة وهو ضخم، أنا صغيرة وهو عجوز، أنا أجد متعة فى أن أجلس مع الناس، ومتعته أن يجلس معى وحدي

> بعد لا تكذبى كتب يخاطب الموت: أنا لا أخافك .. ولكنى لا أفهمك ؟ ما أنت ياموت.. وما الحياة؟

وفى وقت قليل أصبح من ظرفاء مصر مثل حافظ ابراهيم ومحمد البابلى والشيخ عبد العزيز البشرى وفكرى اباظة وسليمان نجيب.

وقد عرفته أول ما عرفته عندما كنت نائباً لرئيس تحرير مجلة روز اليوسف، وكان كامل يتردد على منزل السيدة روز بشارع الحواياتى بالقاهرة ويعطى ابنتها الطفلة آمال طليمات دروساً فى اللغة العربية .

وما يكاد ينتهى من الدرس عن المبتدأ والخبر وصيغة منتهى الجموع حتى يدخل غرفة الصالون فيجد عدداً من محررى روز اليوسف وأصدقائها ، وينقلب درس اللغة العربية إلى ضحك ومرح ودعابة ومقالب وسخرية،

كان يجيد تقليد أصوات الزعماء والوزراء والكتاب، وكم من مرة تكلم باسم شخصية معروفة فى التليفون، وهاجم شخصية أخرى فأغضبه وأثاره، وقد صدق ان الشخصية المعروفة هى التى تتكلم، وهى التى خرجت عن حد الأدب، وتقوم خصومة بين الشخصيتين قد تصل إلى حد الهجوم على صفحات الصحف، إلى أن يكتشف الاثنان انهما كانا ضحية لمقلب من مقالب كامل الشناوي.

وكان لا يكره فى الدنيا إلا ثقل الدم، فإذا دخل مكتبه رجل ثقيل ضاقت به الدنيا وشعر بالاختناق واستنجد بعدد من الظرفاء من أصدقائه لينقذوه من الغرق فى الدم البارد والثقيل، وفوجئنا ذات يوم فى أثناء الحرب العالمية الأولى بأستاذ فى الجامعة يقتحم سهراتنا فى جريدة الأهرام، وكان الأستاذ حجة فى علمه، جم الأدب، ولكنه كان لسوء حظه ثقيل الدم لدرجة أنه إذا دخل إلى فرح حوله إلى مأتم، وإذا سمع نكتة حولها إلى نظرية علمية، فتموت الضحكات فوق الشفاه، وحاول كامل أن يتخلص منه بكل الأساليب والوسائل، والرجل الثقيل يزداد إصرارا على أن يقاسمنا سهراتنا وينكد علينا الحياة وأخيراً رأى كامل الشناوى أن يرغم صاحبنا الثقيل أن يكون خفيف الدم، وأقنعه أن دكتوراة العلوم التى يحملها لا تساوى شيئاً فى ذلك العصر، وخير له وأربح أن يكون دكتوراً فى السحر والشعوذة! ووعده بأن يكون كل محررى الأهرام مساعدين له وصبيانا فى عملية السحر والدجل، واتفق معه على أن يدعى أنه يستطيع إذا عرف تاريخ ميلاد رجل أن يعرف بعمليات طرح وضرب وجمع وقسمة اسم زوجته أو اسم صديقته أو إسم خطيبته.

ويدخل الضحية إلى مكتبى ويسأله الدكتور عن تاريخ ميلاده ثم يغادر الدكتور الغرفة ونسأل الضحية عن اسم زوجته أو خطيبته فيهمس بها فى اذني، فأهمس بها فى اذن جاري، ويهمس بها إلى جاره حتى يصل اسمها إلى المحرر الذى يجلس عند باب الغرفة، فيفتح الباب فى هدوء ويخرج.. وبعد دقائق يقتحم الدكتور الساحر الغرفة، ويمسك ورقاً وقلماً ويكتب أرقاماً ويجمعها ويطرحها ويضر بها ثم يقول له: اسم زوجتك فاطمة!

ويذهل الضحية ويعجب من كفاءة الدكتور فى السحر وفى معرفة الغيب ..

وكان كامل الشناوى يجلس فى بار اللواء، وكان الجنود والضباط الانجليز يترددون على قهوة اللواء، وأشاع كامل بينهم أن هذا الدكتور ساحر عظيم فأقبلوا عليه يرجونه ويتوسلون إليه أن يذكر لهم أسماء خطيباتهم! ويأخذهم كامل إلى غرفته فى الأهرام ومعه الدكتور الساحر ويلعب اللعبة على الضباط والجنود.

وخف دم الدكتور المشعوذ كثيراً، وحوّل مجالسنا من كآبة إلى مرح، ومن جد إلى هزل، ومن مناقشات علمية جافة إلى ألاعيب حواة وشعوذة! ثم ضاق كامل بشعوذة المشعوذ الذى صنعه، فأصبح يخبر الضحايا مقدما بحقيقة الدكتور المشعوذ، فيشتركون معه فى اللعبة، ويضحكون على الدكتور بدلا أن يضحك منهم!

وكان أصدقاء كامل المقربون ضحايا مقالبه، وقال له أنيس منصور يوماً: «أنت يا كامل بك تزغزغ أصدقاءك بالسكاكين» وغضب كامل من هذه الحقيقة، وحاول أنيس أن يسترضيه فقال له: إننى أداعبك بأسلوبك وأتكلم بلغتك وأمزح على طريقتك! ولكن كامل كان يحب أن يحتكر المقالب ويحتكر السكاكين، وكان قادراً أن يطلق لقبا على زعيم أو أديب فيلصق به اللقب الساخر طول حياته وكان كاتباً كسولاً وصحفياً كسولاً وشاعراً كسولاً وعاشقاً نشطا، إذا كتب حذف وشطب ومزق عشرات الأوراق قبل أن يكتب ثلاثة سطور. وإذا ذهب للقاء زعيم خطير تكلم كامل طوال اللقاء ولم يترك للزعيم فرصة ليقول لنا خبراً، كان بظرفه ولطفه وخفة دمه يحتل المجلس ويسيطر عليه، فيتحول المتكلمون إلى صامتين، والمثرثرون إلى صاغين، وينتظر رئيس التحرير نتيجة المقابلة الخطيرة إلى ما بعد منتصف الليل ثم يكتشف أن رئيس الوزراء هو الذى سكت وأن كامل الشناوى هو الذى تكلم!

وكان شاعراً رقيقاً لو جمعنا شعره كله لما ملأ كتاباً واحداً بينما انه كان لديه من الخيال والموهبة والقدرة على الخلق ما يجعله أشعر شعراء مصر.

وكان شحيحاً فى أدبه متلافاً فى ماله، يكتب وكأنه بخيل يكتب كمبيالة، وينفق وكأنه مليونير له رصيد فى البنوك! والشىء الغريب أن كامل الشناوى كان مديناً لجميع البنوك فى مصر، ولم يترك مصرفاً صغيرا أو كبيراً إلا واقترض منه وكتب له الصكوك والكمبيالات، حتى جاء يوم كانت الفوائد التى يدفعها للبنوك أكثر من مرتبه الشهري!

وكنت تراه يقبض فى يناير مرتب شهر يوليو! لأنه سبق أن استدان مرتبات شهور فبراير ومارس وابريل ومايو ويونيو! كان كريماً إلى حد السفه، لا يتردد فى أن ينفق كل مرتبه فى شراء ولاعة ذهبية وأربع كرافتات ومنديل حرير من صناعة باريس وكان يعتقد أن الناس أربعة: عالم يعرف أنه عالم، وهذا حكيم فاتبعوه، وعالم يجهل أنه عالم، وهذا نائم فأيقظوه، وجاهل يعرف أنه جاهل فاضربوه وعلموه، وهذا جاهل يجهل أنه جاهل، وهذا حمار فاركبوه!

كان كامل مستعداً أن يركب كل حمار، وكل غبي، وكل ثقيل الدم، وكل أحمق ويجد متعة لاحد لها فى هذا الركوب، كان الذكاء يستهويه وكان الغباء ينفره، وكانت الموهبة تجذبه بينما الخمول العقلى ينكد عليه الحياة.

وكانت غدة الحب فى قلبه تفرز باستمرار! ما مر يوم فى حياته منذ عرفته ولم أره غارقا فى قصة حب، وكنت أقول له ان قلبه كروايات سينما مترو فى تلك الأيام، كل أسبوع فيلم جديد! وكان يسمى الفتاة التى يعشقها (آخر صيحة)) فإذا مضى أسبوع على الحب بحث عن تاجر الأشياء المستعملة ليلقى فى جرابه بالحب القديم كما يرمى بالحذاء القديم!

أحب مرة نجمة سينمائية فاتنة، وكنت أدخل مكتبه فيقول لي: (القاهرة نائمة الآن فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا تستيقظ) وأفهم من هذا أنه سأل عن معبودته فى بيتها فعلم أنها لا تزال نائمة فاعتبر هذا دليلا على أن العاصمة كلها مستغرقة فى النوم!

وإذا رآها مبتسمة عاد يقول لنا: (كانت القاهرة تبتسم اليوم، الشوارع تبتسم والسيارات تبتسم والعمارات تبتسم، حتى إننى رأيت جنازة فى ميدان الأوبرا كان المشيعون يبتسمون والنعش يرقص!) وكانت المعبودة تقيم فى تلك الأيام بفندق الكونتنتال بميدان الأوبرا!

وأعظم هوايات كامل الشناوى كانت احتضان المواهب الجديدة، ودفعها إلى الأمام، والحماس لها، والاشادة بها، وقد سمعت اسم (عبدالحليم.حافظ) لأول مرة فى حياتى من كامل، وقد كرره أمامى مائة مرة حتى أصبحت إذا رأيت كاملاً بادرته بقولي: (ماهى أخبار عبدالحليم حافظ؟) ولما عرفت عبد الحليم جيداً وجدت أن كاملاً كان صادقاً فى وصفه محقاً فى إعجابه به، وكذلك كان الأمر مع الموسيقار بليغ حمدي.

وكان كامل متقلباً يحب ثم يكره ثم يحب من جديد، يصنع التمثال ويحطم الصنم، ثم يعود ليجمع الأنقاض ليبنى ناطحة سحاب، وكان مكتبه فى جريدة أخبار اليوم «الأم» التى تحتضن المحررين المبتدئين والفنانين الصغار والمواهب الناشئة، وكانت سعادته أن يرى هذه الزهور الصغيرة تكبر وتتحول إلى أشجار باسقة، ولم يكن يخشى أن يكبر صغيراً فيحتل مكانه.. وكم من صغار حملهم فوق رأسه فداسوه بأقدامهم، ونصرهم فخذلوه، وشهرهم وحاولوا أن يدفنوه! .

وكان ذوقه فى الحب غريباً، كان دميماً ولا يختار إلا ملكات الجمال، وكان ضخم الجثة ويصر أن تكون معبودته دقيقة صغيرة قصيرة تكوّن معه رقم ٥٠ فيكون هو الخمسة المستديرة وتكون هى الصفر الذى على اليمين، وكان مخلصا أمينا فى حبه ولا يقع إلا فى هوى الغانيات المتقلبات الخائنات الغادرات! وكانت الفتاة التى تقف وحدها لا تستهويه ولا تلفت نظره، وانما الذى يجذبه هو الزحام، فهو يحب المرأة التى حولها زحام شديد، فيحاول آن يشق طريقه إليها، ويدفعه من أمامه، ويوقفه من بجواره، ويزغده من خلفه، إلى أن يصل إلى المرأة التى اختارها منهوك القوى!

وقد قلت له مرة إننى ألاحظ أنه لا يحب السيارة (الملاكي) التى يستقلها وحده وإنما يحب السيارة (الأوتوبيس) كاملة العدد فيتشعبط على السلم، أو يتعلق بالباب حتى يدفعه راكب آخر! فأنا لم أره أبداً جالسا مستريحا فى أوتوبيس حب .. بل كنت أراه واقفا ينتظر أن يخلو مقعد ولا يجد محلاً خاليا أبداً!

وكان كامل يقول: «إن ولعى بالجمال لا يقف عند حد، فأنا أحب الجمال فى الطبيعة والفن والاخلاق والمرأة» .

وعشت معه حبه الكبير الأخير وهو الحب الذى أبكاه وأضناه وحطمه وقتله فى آخر الأمر، أعطى كامل لهذه المرأة كل شيء: المجد والشهرة والطبل والزمر والدعاية والشعر، ولم تعطه شيئاً! أحبها فخدعته، أخلص لها فخانته، جعلها ملكة فجعلته أضحوكة، وقد كتب قصيدة (لا تكذبى إنى رأيتكما معا) فى غرفة مكتبى بشقتى فى الزمالك، وهى قصيدة حقيقية ليس فيها مبالغة أو خيال حتى إن الموسيقار عبدالوهاب سماها «إنى ضبطكما معا»! وكان كامل ينظمها وهو يبكي، كانت دموعه تختلط بالكلمات فتطمسها، وكان يتأوه كرجل ينزف منه الدم الغزير وهو ينظم، وبعد أن انتهى من نظمها قال إنه يريد أن يقرأ القصيدة على المطربة بالتليفون.

وكان تليفونى بسماعتين، أمسك هو سماعة وأمسكت أنا وأحمد رجب سماعة فى غرفة أخرى، وتصورنا أن المطربة ما تكاد تسمع القصيدة حتى تشهق وتبكى وتنتحب ويغمى عليها وتستغفر وتعلن توبتها.. وكان فى رأى أحمد رجب ورأيى أن هذا منظر تاريخى يجب أن نحضره.

وبدأ كامل يلقى القصيدة بصوت منتحب خافت، تتخلله الزفرات والعبرات والتنهدات والآهات مما كان يقطع القلوب، وكان المطربة صامتة لا تقول شيئاً ولا تعلق ولا ت قاطع ولا تعترض، وبعد أن انتهى كامل من إلقاء القصيدة قالت المطربة: – كويسة قوى .. تنفع أغنيها .. لازم أغنيها!

وانتهت المحادثة التاريخية ورأينا كامل الشناوى أمامنا جثة بلا حراك!

وكتب إليها يلعنها ويقول: (لم يعد بيننا ما يغرى بأن أخدعك أو تخدعيني، فقد خرجت من حياة نفسى! لا تدهشى.. فالحياة التى أحياها اليوم لا يربطنى بها إلا ما يربط الناس بحياتهم من أمل و يأس، أو راحة وعذاب.. إنها حياة لا أتحرك فيها، ولكن أتمدد كجثة .. وهى لا تضمنى بين أحضانها ولكن تلفنى كالكفن! فى استطاعتى الآن فقط أن أصارحك بحقيقة قصتى معك، لقد خدعتنى وخدعتك، خدعتنى بكذبك الذكي، وخدعتك بصدقى الغبي.. ظللت سنوات أتوهم أنك تحبينني، فجريت وراءك بقلبى الأبله ومشاعرى الحمقاء.. وخلال تلك السنين كنت أنتزع من نفسى خلجاتها وأقدمها لك فى آهة، دمعة، كلمة، قصيدة .. وقد دفعك إيمانك بصدق عاطفتى إلى أن تمارسى حقوق حواء بقدرة وجدارة.. فغدرت بوفائى وضحكت من دموعي».

وسمع كامل الشناوى أن حبيبته المطربة الكبيرة عندما علمت بعذابه قالت لأصدقائها:– مسكين كامل الشناوى .. لقد دمرته الغيرة.

وكتب كامل يقول لها: «صدقينى إذا قلت لك، اننى لست مسكينا، ربما كنت كذلك لو اننى استسلمت للوهم الذى علقنى بك، ولكننى قاومته ورفضت، وجعلت من كبريائى حصنا يحمينى منك، ومن قلبي!

ولا شىء يقوى أن يدمرنى لأننى أحيا، وما دمت أحيا، فإن العواصف التى تهب من حولى لا تزيدنى إلا قوة على مواجهة الأعاصير، إننى لست كثيباً من الرمل، تبدده حفنة من الهواء، ولكننى جبل لا أبالى العاصفة، بل أحتفى بها، وبدلا من أن تزمجر فى الفضاء أجعلها تغنى من خلال صخوري!

وليس صحيحا انى أغار من أى إنسان تعرفينه، فالغيرة لا تكون إلا ممن تحبينهم، وقد عرفت بالتجربة أنك لم تحبى إلا ذاتا واحدة، لا أستطيع أن أغار منها لأنها مختبئة فى ثيابك! إنك تحبين نفسك، وتغارين ممن يشاركونك حبها، بل إنك تناصبينهم العداء، ومن أجل ذلك عاملتنى كما لو كنت عدوك الطبيعى .. أحببتك فكرهتني، قدمت إليك قلبي، فطعنته بخنجر مسموم» !

ومضت المطربة تثير كامل الشناوى بأنها تعشق فلانا الطبيب، وتحب علاناً المحامي، وتخرج مع ترتان المهندس!

وكتب كامل يقول لها: (ليتك تعلمين أنك لا تهزيننى بتصرفاتك الحمقاء، فلم يعد يربطنى بك إلا ماض لا تستطيع قوة أن تعيده إلينا أو تعيدنا إليه.. كنت أتعذب فى حبك بكبرياء، وقد ذهب الحب، وبقيت لى كبريائي، كنت قاسية فى فتنتك، ونضارتك وجاذبيتك، فأصبحت قاسية فقط) .

وكان كامل يحاول بأى طريقة أن يعود إليها، يمدحها ويشتمها، يركع أمامها ويدوسها بقدميه، يعبدها ويلعنها، وكانت تجد متعة أن تعبث به، يوماً تبتسم ويوماً تعبس، ساعة تقبل عليه وساعة تهرب منه، تطلبه فى التليفون فى الصباح ثم تتكر نفسها منه فى المساء، وكان يقول إنه لا يفهمها، وهى امرأة غامضة لا أعرف هل هى تحبنى أم تكرهني، هل تريد أن تحييني أم تقتلني؟

وكتب عنها يقول: «أنا لا أفزع إلا من شيئين، آلام مرض لا أعرفه، وغموض امرأة أعرفها.. وقد أتحمل آلام المرض، بأمل أو يأس، أما غموض المرأة فلا يجدى معها أملى فيها أو يأسى منها.. إن غموض الرجل يثير فيه ريبة أصدقائه فيبتعدون عنه.

والمرأة الغامضة تثير الريبة فيمن يحبها، إن كل خلجاته ، ونبضاته تظل تسأل فى حيرة عن سر هذا الغموض، إذا أبدت الرضى ظن أنها تخدعه، وإذا غضبت منه اعتقد أنها تكرهه.. وإذا كانت وحدها سعى إليها فيحس وحده أنه فضولى متطفل، ضيف غير مدعو!

وإذا أقبلت عليه فكر فيما ينطوى عليه إقبالها من نيات ماكرة، واستمرت لعنة الحب الفاشل تطارده وتعذبه، وكان يعتقد ان الهجر قتله وأنه لم يبق إلا موعد تشييع الجنازة! وكان يجلس يكتب كل يوم عن عذابه وكان يخيل إلىّ أنه كان يكتب كل يوم نعيه.

وفوجئت به يتردد على المقابر، ولم تكن هذه عادته، وسألته ماذا حدث فابتسم ابتسامة حزينة وقال: أريد أن أتعود على الجو الذى سأبقى فيه إلى الأبد.

وقد كتب يصف رحلته إلى المقبرة يقول: «ما أعجب هذه الصحراء، كل شىء فيها يشبه الآخر، الناس متشابهون فى حركاتهم والانقباض البادى فى مسحات وجوههم، القبور متشابهة، كلها أحجار وطوب وزهور، وماء يبل الثرى، كلها يضم عظاما نخرة.. هنا، تحت المقابر تساوت الأعمار والقيم، الشاب والشيخ، والذكى والغبي، من كان له مثل أعلى فى الحياة، ومن غادر الحياة ولم يكن له فيها مثل أو هدف! ووصلت إلى المقبرة التى تعودت أن أزورها فى أكثر من مناسبة، ففيها يرقد أحبابى الذين تركوا حياتى وذهبوا إلى حيث سنذهب مثلهم ..

حاولت أن أبكيهم فتعثرت الدموع فى محاجري.. حاولت أن أرثيهم فلم تنطق منى إلا كلمات خرساء ، ووقفت فى خشوع، ثم جثوت فوق التراب الذى ضمهم بالأمس وسيضمنى غداً، وحنيت رأسى اجلالا للموت الذى احتواهم بين ذراعيه.. بهاتين الذراعين سيحتوينى يوما! أيها الموت: أنا لا أخافك .. ولكنى لا أفهمك .. فمن تكون؟ هل أنت تنزف دماءنا وأعمارنا لتروى ظمأك؟ أم لتروى ظمأ الحياة؟ ما أنت ياموت.. وما الحياة؟

يا أسفى على أنى أعيش حياتى ولا أعرفها، والقى الموت دون أن أعرفه! أيتها الصحراء، يامدينة القبور والموتى! إذا جئت إليك محمولاً فى نعش فاستقبلينى بروحك الوديعة التى شعرت بها اليوم، عندما جئتك محمولاً فى سيارة.

× × ×

ومات كامل الشناوي.. ومضت السنون وقابلت المطربة التى كان يعشقها وقلت لها: إننى كرهتها طول حياتى منذ قصيدة «لا تكذبى إنى رأيتكما معاً»!

قالت: إننى لم أحبه، هو الذى كان يحبنى.. إننى كنت أحبه كصديق فقط وطلب منى أن يتزوجنى فرفضت لأننا نختلف فى كل شىء أنا رقيقة وهو ضخم، أنا صغيرة وهو عجوز، أنا أجد متعة فى أن أجلس مع الناس، ومتعته أن يجلس معى وحدي، أنا لا أريد أن يعرف الناس من أحب، وهو يريد أن تعرف الدنيا كلها أنه يحبني!

قلت لها : إن أصدقاءه يعتقدون أنك قتلتيه!

قالت: لا .. إنه هو الذى انتحر!

سألتها : تقصدين أنه انتحر حبا؟ قالت: بل انتحر غيرة!

ولم أصدقها طبعا ..

مابعد المقال

على الفور اتصلت نجاة بمحاميها الخاص فتحى رجب، تخبره بعصبية شديدة استياءها وتطالبه برفع دعوى قضائية ضد مصطفى أمين، وأخذت تقرأ له ما كتبه عنها بغضب وضيق، مؤكدةً أنها لن تتراجع حتى تعاقبه بالحبس وغرامة كبيرة على ما كتبه فى حقها وتشويه صورتها والربط بينها وبين موت كامل الشناوي.

على الفور قرر المحامى اتخاذ الإجراءات الرسمية برفع دعوى قضائية ضد مصطفى أمين، يطالب فيها بتطبيق قانون العقوبات ويتهمه بسب وقذف «نجاة» بما يستحق عقابه بالحبس ٣ سنوات وغرامة تصل إلى نصف مليون جنيه.

مع مرور الوقت وتدخل البعض، دفع ذلك نجاة للموافقة على التنازل شرط أن يعتذر لها مصطفى أمين، والذى أصر بدوره على عدم الاعتذار وأنه لم يفعل شيئاً ومتمسك بكل ما قيل فى المقال، بل فشل تدخل الكاتب الصحفى أحمد رجب ومأمون السناوى والموسيقار محمد عبدالوهاب فى الصلح بين الطرفين وإقناع نجاة بالتصالح.

محاولات الصلح فشلت والقضية استمرت حيث شهدت أروقة محكمة جنح آداب قصر النيل تفاصيل القضية، لكن بعد فترة انتهى الجدل بحكم محكمة «رفض الدعوى وإلزام نجاة بالمصاريف وبراءة مصطفى أمين».

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

الدين العام والأمن القومي المصري:

هل امتلكت مصر رفاهية عدم الاقتراض؟

جزء مهم من الدين العام كان نتاجًا لخيارات سيادية مرتبطة بالأمن القومي، وليس نتيجة لسياسات مالية غير رشيدة

غالبًا ما يتم تناول ملف الدين العام فى مصر من منظور اقتصادى ضيق، يركز على المؤشرات الكمية مثل حجم الدين ونسبه إلى الناتج المحلى الإجمالى وعجز الموازنة، بمعزل عن السياق السياسى والأمنى الذى تشكلت داخله قرارات الاقتراض. غير أن هذا الطرح يتجاهل حقيقة أساسية مفادها أن جانبًا معتبرًا من الدين العام، لا سيما منذ منتصف العقد الثانى من الألفية، ارتبط ارتباطًا وثيقًا باعتبارات الأمن القومى والتحولات الإقليمية العميقة التى واجهت الدولة المصرية. ومن ثمّ، فإن تقييم مسار الدين العام يقتضى إدراجه ضمن إطار تحليلى أوسع يتجاوز الحسابات المالية البحتة.







بقلم: د. محمد فاروق مهنى

من أزمة اقتصادية إلى تهديد وجودى للدولة

أعقبت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ مرحلة ممتدة من عدم الاستقرار السياسى والأمني، كان لها انعكاسات مباشرة على الأداء الاقتصادى للدولة. فقد تراجعت معدلات النمو الاقتصادى إلى أقل من ٢٪ فى بعض السنوات، وانخفض الاحتياطى النقدى من نحو ٣٦ مليار دولار عام ٢٠١٠ إلى أقل من ١٥ مليار دولار عام ٢٠١٣، بالتوازى مع هروب الاستثمارات الأجنبية، وتراجع حاد فى إيرادات السياحة، وارتفاع عجز الموازنة العامة إلى ما تجاوز ١٣٪ من الناتج المحلى الإجمالي، فى هذا السياق لم تكن الدولة المصرية تواجه أزمة مالية تقليدية فحسب، بل أزمة تهدد قدرتها على الحفاظ على تماسكها المؤسسى ووظائفها الأساسية، بما فى ذلك الأمن والاستقرار. وعليه، لم يكن اللجوء إلى الاقتراض خيارًا سياسيًا ترفيًّا، بل أداة اضطرارية لضمان استمرارية الدولة ومنع انزلاقها إلى مسارات أكثر خطورة.

البيئة الإقليمية وضغوط الأمن القومى على القرار المالي

الجبهة الشرقية: غزة وسيناريوهات التهجير، شكّلت التطورات المتلاحقة فى قطاع غزة، خاصة الحروب المتكررة وآخرها الحرب الأخيرة، تحديًا بالغ الحساسية للأمن القومى المصري. فإلى جانب الأبعاد الإنسانية والسياسية للصراع، برزت مخططات إسرائيلية، صريحة أو ضمنية، تستهدف تهجير سكان القطاع قسرًا، مع توجيه هذا التهجير نحو شبه جزيرة سيناء، بما يحمله ذلك من تهديد مباشر لوحدة الأراضى المصرية ومحاولة لتقويض القضية الفلسطينية.

فى هذا الإطار، لعب الحفاظ على توازن عسكرى مصرى فعّال دورًا محوريًا فى ردع فرض أى واقع ديموغرافى جديد، وتأكيد الخطوط الحمراء المصرية، ومنح الدبلوماسية المصرية وزنًا حقيقيًا فى إدارة الأزمة. ولا يمكن فصل هذا الدور عن عملية تطوير شاملة للقدرات العسكرية المصرية خلال السنوات الماضية، وهى عملية تطلبت موارد مالية ضخمة.

الجبهة الغربية: ليبيا كخاصرة أمنية رخوة، منذ انهيار مؤسسات الدولة الليبية عام ٢٠١١، تحولت الحدود الغربية لمصر إلى مصدر تهديد دائم، نتيجة تعدد الميليشيات المسلحة، وانتشار السلاح، وتداخل الصراعات الإقليمية والدولية داخل الأراضى الليبية. وقد اضطرت مصر، فى مواجهة هذه التحديات، إلى رفع مستويات الجاهزية العسكرية غربًا، وتأمين حدود تمتد لأكثر من ١٢٠٠ كيلومتر، والتدخل سياسيًا وأمنيًا – بصورة مباشرة وغير مباشرة – لمنع انهيار الدولة الليبية بالكامل، ورغم الكلفة المالية المرتفعة لهذه الإجراءات، فإنها مثلت استثمارًا وقائيًا لتجنب سيناريوهات الفوضى العابرة للحدود، والتى كان من شأنها أن تفرض كلفة أمنية واقتصادية أعلى بكثير على الدولة المصرية.

التوترات على الحدود مع السودان: الوضع فى السودان متقلب نتيجة الصراع الدائر بين الجيش وقوات الدعم السريع، وما يصاحبه من فوضى أمنية وانتشار للميليشيات، الأمر الذى يرفع من خطر تسلل العناصر المسلحة إلى داخل الأراضى المصرية. ويُفاقم هذا المشهد احتمالية تفكك أو تقسيم السودان، بما يحمله من تهديد مباشر للأمن القومى المصري، إذ يؤدى غياب الدولة المركزية إلى خلق بؤر صراع دائمة وحدود رخوة يسهل اختراقها. كما يشهد مثلث الحدود بين مصر– السودان – ليبيا اشتباكات متكررة وتعقيدات أمنية ناتجة عن نشاط التنظيمات المسلحة وعمليات تهريب السلاح والمقاتلين عبر الصحراء، وهو ما يجعل هذا الممر مصدر تهديد حقيقي، خاصة مع التدفق المحتمل للأسلحة والعناصر المتطرفة إلى محافظات جنوب مصر، بما يهدد الاستقرار الداخلى ويزيد من أعباء المواجهة الأمنية.

التهديدات المرتبطة بالسد الاثيوبي، يمثّل سدّ النهضة تهديدًا وجوديًا لمصر، إذ يضع شريان الحياة الوحيد للدولة تحت رحمة إجراءات أحادية قد تؤدى إلى تقليص حصتها من مياه النيل، بما يحمله ذلك من مخاطر مباشرة على الزراعة والاقتصاد والاستقرار المجتمعي. وفى مواجهة هذا الخطر، انتهجت مصر سياسة متوازنة تجمع بين السعى الدبلوماسى والردع الحاسم، فعملت على تعزيز قدراتها العسكرية وتحديث قواتها المسلحة وتنفيذ مناورات استراتيجية تؤكد جاهزيتها الكاملة. وتبعث هذه الاستعدادات برسالة واضحة مفادها أن مصر تفضّل الحلول السلمية، لكنها لن تتهاون فى الدفاع عن أمنها القومى وحقوقها التاريخية فى مياه النيل.

التهديدات فى منطقة البحر الأحمر، هجمات وتوترات أمنية مرتبطة بالحرب فى اليمن، جماعة الحوثى فى اليمن تستهدف أحيانًا الملاحة التجارية فى البحر الأحمر بصواريخ وطائرات مسيرة، ما يؤثر على حركة التجارة العالمية وحركة السفن،هذا التهديد يترتب عليه ارتفاع تكلفة الشحن، اختيارات مسارات أطول للسفن، ويشكل ضغطًا على مصر التى تعتمد على قناة السويس كأهم ممر ملاحى عالمي، الصراعات فى القرن الإفريقى (مثل الخلافات بين إثيوبيا وإريتريا) تؤثر على البيئة الأمنية للبحر الأحمر، وقد تؤدى إلى تأجيج النزاعات فى المنطقة إذا ما توسعت، تهديدات فى البحر الأحمر لا تقتصر على فاعلين محليين فقط؛ فالأحداث الإقليمية تتشابك مع مصالح دولية، ما يضيف مزيدًا من التعقيد على الأمن البحري.

التهديدات فى منطقة البحر المتوسط: فى المتوسط، التهديدات غالبًا أقل عنفًا مباشرًا مقارنة بالعناصر التى تواجهها فى الجنوب والبحر الأحمر، لكن هناك تهديدات استراتيجية مهمة، توترات إقليمية وتحركات دولية: البحر المتوسط يشهد تنافسًا بين قوى دولية حول موارد الطاقة (الغاز والنفط) وطرق النقل؛ هذا يمكن أن يؤثر على الأمن البحرى المصرى إذا توسّعت النزاعات الإقليمية إلى المنطقة، ضعف الاستقرار الإقليمى قد يزيد من مخاطر على السفن ومصالح مصر الاقتصادية فى المتوسط، التحديات ليست فقط عسكرية، بل تشمل أمن الطاقة، الاقتصاد، والتهديدات غير التقليدية مثل القرصنة والهجمات السيبرانية.

تطوير القدرات العسكرية ومتطلبات الإنفاق

بين عامى ٢٠١٤ و٢٠٢٣، شهدت القوات المسلحة المصرية برنامج تحديث واسع النطاق، لم يكن هدفه التوسع الهجومى أو الاستعراض العسكري، بل تنويع مصادر السلاح، ورفع القدرة الردعية، وحماية المصالح الاستراتيجية للدولة. وشمل هذا البرنامج الحصول على طائرات مقاتلة متعددة المهام، وتطوير القوات البحرية لحماية السواحل وحقول الغاز فى شرق المتوسط، وتعزيز منظومات الدفاع الجوي، وتحديث القوات البرية ووسائل الاستطلاع والمراقبة.

ووفقًا لبيانات معهد ستوكهولم الدولى لأبحاث السلام (SIPRI)، بلغ متوسط الإنفاق العسكرى المصرى نحو ٣–٤٪ من الناتج المحلى الإجمالى خلال تلك الفترة، مع تصنيف مصر ضمن أكبر مستوردى السلاح عالميًا فى بعض السنوات. ورغم كلفة هذا الإنفاق، فقد أسهم فى منع تدهور الأوضاع الأمنية، وحماية الاستثمارات الاستراتيجية مثل قناة السويس وقطاع الطاقة والبنية التحتية، وتجنب كلفة أكبر كانت ستنجم عن صراعات مباشرة أو انفلات أمنى داخلي.

هل كان بالإمكان تفادى الاقتراض؟

ينبغى إعادة صياغة السؤال المركزى من "هل ارتفع الدين العام؟" إلى "هل كانت كلفة عدم الاقتراض أقل؟". فمن منظور تحليلي، فإن عدم تطوير القدرات العسكرية فى ظل بيئة إقليمية شديدة الاضطراب، أو الاكتفاء بسياسات أمنية محدودة الموارد، كان سيؤدى على الأرجح إلى تراجع أكبر فى الاستثمار، وارتفاع مخاطر الدولة، وزيادة احتمالات التدخلات الخارجية المباشرة أو غير المباشرة، بما يفرض كلفة اقتصادية وأمنية تفوق بكثير كلفة الاقتراض ذاته.

وبهذا المعني، يمكن النظر إلى جانب من الاقتراض باعتباره "ثمنًا للاستقرار"، وليس مجرد انعكاس لاختلالات مالية، ويمكننا رصد عدد من نقاط القوة فى إدارة هذا الملف، من أبرزها القراءة المبكرة لطبيعة التهديدات الإقليمية، وبناء قدرة ردع حافظت على وحدة الأراضى المصرية، ومنع انتقال الفوضى من الجوار الإقليمى إلى الداخل. فى المقابل، تبرز نقاط ضعف، أهمها ضعف الربط بين الإنفاق الأمنى والعائد الاقتصادي، وتحميل الموازنة العامة أعباء متزايدة دون إصلاح هيكلى اقتصادى متزامن، إضافة إلى غياب خطاب اقتصادى واضح يشرح للمجتمع كلفة الأمن وحدوده.

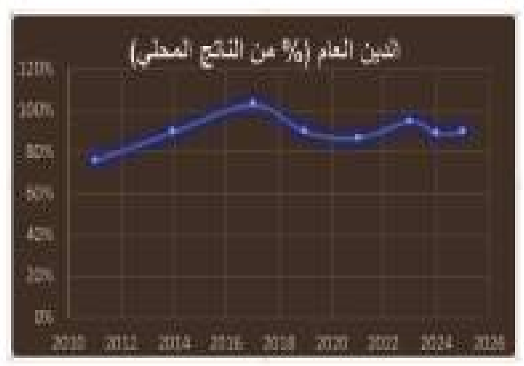
يُظهر هذا التحليل أن جزءًا مهمًا من الدين العام المصرى كان نتاجًا لخيارات سيادية مرتبطة بالأمن القومي، وليس مجرد نتيجة لسياسات مالية غير رشيدة. غير أن استمرار الاعتماد على الاقتراض، دون معالجة الجذور الهيكلية للاقتصاد، يُهدد بتحول الدين من أداة حماية مؤقتة إلى عبء مستدام.

ومن ثمّ، تبرز الحاجة إلى الانتقال من مرحلة "شراء الاستقرار" إلى مرحلة بناء اقتصاد إنتاجى قادر على تمويل أمنه ذاتيًا. وهو ما يقود إلى تساؤل أعمق سيتم تناوله لاحقًا فى المقال التالي: أزمة الديون فى مصر: قراءة تحليلية فى الأسباب البنيوية بعيدًا عن الرواية الرسمية.

ينبغى إعادة صياغة السؤال المركزى من "هل ارتفع الدين العام؟" إلى "هل كانت كلفة عدم الاقتراض أقل؟"

قراءة تحليلية فى الأسباب البنيوية لأزمة الديون بعيدًا عن الرواية الرسمية

السنة	الدين العام (% من الناتج المحلي)
2011	76%
2014	90%
2017	103%
2019	90%
2021	87%
2023	95%
2024	89%



أصبحت أزمة الديون فى مصر واحدة من أكثر القضايا الاقتصادية إثارة للجدل فى المجال العام، وغالبًا ما تُقدم ضمن خطاب رسمى يربطها بعوامل خارجية ظرفية، مثل الصدمات العالمية أو الأوضاع الإقليمية غير المستقرة. غير أن هذا الطرح، على أهميته الجزئية، لا يفسر وحده الطبيعة البنيوية للأزمة، ولا يجيب عن السؤال الجوهرى المتعلق بقدرة الاقتصاد المصرى على تحمّل الدين وتحويله إلى أداة للتنمية. فالدين، فى ذاته، ليس أزمة، وإنما تتحول المشكلة إلى أزمة حين يُستخدم الاقتراض فى بيئة اقتصادية غير قادرة على توليد عائد إنتاجى يغطى كلفته.

الدين بين الوظيفة التنموية والاستخدام الاستهلاكي

يميّز التحليل الاقتصادى بين الدين التنموي، الذى يُوجه لتمويل أنشطة إنتاجية قادرة على خلق قيمة مضافة مستدامة، وبين الدين الاستهلاكي، الذى يُستخدم فى تمويل الإنفاق الجارى أو سد فجوات هيكلية فى الموازنة العامة. وفى الحالة المصرية، يصعب توصيف جانب معتبر من الاقتراض خلال العقد الماضى بوصفه دينًا تنمويًا بالمعنى الدقيق، إذ لم ينعكس فى توسع ملموس للقاعدة الإنتاجية أو فى تحسن هيكلى لمؤشرات التنافسية والتصدير.

ورغم التوسع فى مشروعات البنية التحتية، فإن محدودية العائد الاقتصادى المباشر، وتأخر الجدوى الإنتاجية، جعلا هذه المشروعات عاجزة عن توليد تدفقات نقدية كافية لخدمة الدين، فى وقت كانت فيه الالتزامات المالية تتزايد بوتيرة سريعة.

تطور الدين العام والخارجى منذ ٢٠١١: مسار تراكمى بلا انعطافة إنتاجية

شهد الدين العام المصرى منذ عام ٢٠١١ مسارًا تصاعديًا مستمرًا، مدفوعًا بتراجع الإيرادات، واتساع عجز الموازنة، والحاجة إلى تمويل الاستقرار الاقتصادى والاجتماعي. ومع إطلاق برامج الإصلاح الاقتصادى منتصف العقد الماضي، لم يتغير هذا المسار جوهريًا، بل تغيّر تركيبه، مع زيادة الاعتماد على الاقتراض الخارجى إلى جانب استمرار الضغط المتصاعد للدين المحلي.

يوضح الجدول والرسم البيانى التالى المسار العام لتطور الدين الحكومى (محلى + خارجي) كنسبة تقريبية من الناتج المحلى الإجمالي، استنادًا إلى بيانات حكومية وتقارير مؤسسات مالية دولية:

تكمن الإشكالية الأساسية فى الفجوة المتزايدة بين معدل نمو الدين ومعدل نمو الناتج المحلى الحقيقي، وهى فجوة تعكس خللًا بنيويًا فى قدرة الاقتصاد على تحويل الاقتراض إلى نمو مستدام، وتطرح تساؤلات جادة حول استدامة المسار المالى القائم.

ويعكس تطور الدين الخارجى الموضح بالجدول والرسم البيانى التالى المسار التصاعدى للدين الخارجى المصرى منذ عام ٢٠١١ تحولًا هيكليًا فى نمط تمويل الاقتصاد، حيث انتقلت الدولة تدريجيًا من الاعتماد الأكبر على التمويل المحلى إلى التوسع فى الاقتراض الخارجي، خاصة بعد عام ٢٠١٦. وقد ارتبط هذا التحول بالحاجة إلى توفير النقد الأجنبي، وسد فجوات ميزان المدفوعات، ودعم الاحتياطى النقدي، إلا أنه فى المقابل زاد من حساسية المالية العامة لتقلبات سعر الصرف وأسعار الفائدة العالمية. وعلى الرغم من استخدام جزء من هذا الدين فى تمويل مشروعات بنية تحتية واستقرار مالى قصير الأجل، فإن غياب عائد تصديرى مستدام جعل خدمة الدين الخارجى تمثل عبئًا متزايدًا، ما يحول الدين من أداة تمويل إلى مصدر ضغط هيكلى على الاقتصاد الكلي.

لماذا لم يتحول الاقتراض إلى نمو إنتاجي؟

يعود إخفاق تحويل الاقتراض إلى نمو إنتاجى إلى مجموعة من العوامل الهيكلية، أبرزها ضعف مساهمة القطاعات القابلة للتصدير، وتراجع دور القطاع الخاص، وهيمنة الدولة على مجالات اقتصادية لا تحقق عائدًا إنتاجيًا مرتفعًا. كما ساهم التركيز على مشروعات كثيفة رأس المال وقليلة التشغيل فى الحد من الأثر التنموى للإنفاق العام.

إضافة إلى ذلك، أدى غياب سياسة صناعية متكاملة، وضعف التنسيق بين السياسات المالية والنقدية، إلى تحويل الاقتراض إلى أداة لإدارة الاقتصاد، بدلًا من كونه وسيلة لإعادة هيكلته ورفع إنتاجيته.

أثر سعر الفائدة وسعر الصرف فى تعميق الأزمة

أسهمت السياسة النقدية، القائمة على أسعار فائدة مرتفعة، فى تضخيم كلفة خدمة الدين المحلي، وتحويل جزء كبير من الإنفاق العام إلى بند الفوائد، ما قلص الحيز المالى المتاح للاستثمار العام والإنفاق الاجتماعي. وفى الوقت ذاته، أدت التخفيضات المتكررة فى قيمة العملة المحلية إلى زيادة العبء الحقيقى للدين الخارجي، بما جعل الاقتصاد أكثر هشاشة أمام الصدمات الخارجية.

وبذلك، أصبح الدين أكثر حساسية لتقلبات سعر الصرف وتغيرات السياسة النقدية، وهو ما يعكس اعتمادًا مفرطًا على أدوات قصيرة الأجل لمعالجة اختلالات هيكلية أعمق.

الدين كعرض لا كسبب

إن النظر إلى الدين بوصفه السبب الرئيسى للأزمة الاقتصادية فى مصر يختزل المشكلة ويُضلل النقاش العام. فالدين، فى جوهره، عرض لاختلالات أعمق تتعلق بنمط النمو، وبنية الاقتصاد، وطبيعة العلاقة بين الدولة والسوق. واقتصاد يعتمد على الريع، والاستهلاك، وتدفقات رؤوس الأموال قصيرة الأجل، لا يمكنه تحمّل مستويات مرتفعة من الاقتراض دون الوقوع فى فخ الديون، من ثم فإن معالجة الأزمة لا تبدأ بتقليص الدين فى حد ذاته، بل بإعادة بناء نموذج اقتصادى إنتاجي، قادر على التصدير،وتوليد عملة أجنبية مستدامة، وتحقيق نمو حقيقى يسبق الاقتراض ولا يعتمد عليه.

تكشف أزمة الديون فى مصر عن إشكالية مركزية تتمثل فى استخدام الاقتراض كأداة لإدارة الاستقرار، دون تحويله إلى رافعة حقيقية للتنمية المستدامة. وبينما تفسر العوامل الخارجية جانبًا من الضغوط المالية، فإن جذور الأزمة تظل داخلية، مرتبطة بخيارات السياسات الاقتصادية ونمط النمو السائد، إن تجاوز هذه الأزمة يتطلب مراجعة جذرية لأولويات الإنفاق، وإعادة تعريف دور الدولة فى الاقتصاد، والانتقال من إدارة الأزمات بالديون إلى بناء اقتصاد منتج قادر على تمويل أمنه واستقراره ذاتيًا. فالدين قد يكون وسيلة مؤقتة، لكنه لا يمكن أن يكون أساسًا دائمًا للتنمية.

بقلم: د. محمد فاروق مهنى

من الشارع الأميركى إلى حافة الحرب مع إيران: أميركا الترامبية إلى أين؟



مادورو وزوجته فى قبضة قوات دلتا

من يتابع سلوك وتصرفات الرئيس الأميركى دونالد ترامب منذ انطلاق فترته الرئاسية الحالية، يدرك أن ما يجرى لم يعد مجرد اختلاف فى الأسلوب أو خروج عن الأعراف الدبلوماسية التقليدية، بل أقرب إلى مشروع صدامى شامل يستهدف تفكيك ما تبقى من النظام الدولى الذى تشكّل بعد الحرب العالمية الثانية. ذلك النظام، ورغم ما شابه من نفاق وهيمنة وانتقائية، كان يشكّل حدًا أدنى من الضبط المؤسسى للعلاقات الدولية، ويحول – نظريًا على الأقل – دون الانزلاق إلى فوضى عالمية شاملة بلا قواعد.

ترامب لا يتعامل مع الدولة الأميركية بوصفها مؤسسة ذات تقاليد دستورية راسخة، بل كأنها شركة خاصة تُدار بعقلية الصفقات التجارية الصفرية: رابح مطلق أو خاسر مطلق. ومن هذا المنطلق يمكن فهم سلوكه تجاه الداخل الأميركي، حيث سعى إلى تحطيم التوازن بين السلطات، والاستهانة بالمحاكم، وتسييس القضاء، وتقويض الإعلام، وتحويل المجتمع إلى معسكرات متصارعة تقوم على العرق والخوف والتحريض. لم يعد العقد الاجتماعى أولوية، بل استُبدل بمنطق التعبئة الغريزية بوصفه الأداة الأساسية للحكم وإدارة الصراع الداخلي.

والمظاهرات التى تجتاح الشارع الأميركى اليوم لم تكن حدثًا طارئًا أو انفجارًا مفاجئًا، بل نتيجة طبيعية لمسار طويل من التفكيك والتأزيم. احتجاجات تتسع رقعتها فى مختلف المدن الأميركية، وتتصاعد حدتها، وتعكس فقدان شرائح واسعة من الأميركيين الثقة بمؤسسات الحكم، وشعورًا متناميًا بأن الدولة لم تعد تمثلهم، بل تعمل ضدهم. وبدل أن تُقابل هذه المظاهرات باعتبارها تعبيرًا مشروعًا عن أزمة اجتماعية وسياسية عميقة، جرى التعامل معها بآليات أمنية وقمعية، يترافق معها خطاب تخوين وتحريض يطال المتظاهرين أنفسهم، فى مشهد يذكّر بالأنظمة الدكتاتورية التى لطالما ادّعت واشنطن أنها تناهضها. وهكذا لم تعد المظاهرات هامشًا فى المشهد الأميركي، بل تحولت إلى مرآة تعكس عمق الأزمة، وإلى مؤشر خطير على تآكل شرعية السلطة فى عيون مواطنيها.

هذا التفكك فى الداخل الأميركى ينعكس مباشرة على السياسة الخارجية، حيث تُدار العلاقات الدولية بمنطق الهروب إلى الأمام. فبدل معالجة جذور الغضب الاجتماعى والسياسى فى الداخل، يجرى تصدير التوتر إلى الخارج، وتحويل الأزمات الدولية إلى ساحات استعراض للقوة. أوروبا، الحليف التاريخي، لم تعد شريكا بل عبئًا يجب ابتزازه. حلف الناتو تحوّل فى خطاب ترامب إلى شركة حماية مأجورة، وأفرغت فكرة الأمن الجماعى من مضمونها. فى أميركا اللاتينية عاد منطق الوصاية والتدخل الفج، وفى آسيا تُدفع المنطقة نحو صدامات مفتوحة مع الصين وكوريا الشمالية دون رؤية استراتيجية متماسكة أو أفق سياسى واضح.

غير أن أخطر تجليات هذا النهج تظهر فى الشرق الأوسط، حيث تهاوت كل الادعاءات الأميركية حول القانون الدولى وحقوق الإنسان. العلاقة بين واشنطن وطهران دخلت مرحلة شديدة الخطورة، تقوم على سياسة حافة الهاوية: لغة تهديد مباشر، حشود عسكرية، ضربات غير معلنة، وحرب استخباراتية مفتوحة. إدارة ترامب لا تسعى إلى تسوية أو تفاوض متوازن، بل إلى فرض الاستسلام الكامل أو جرّ المنطقة إلى مواجهة واسعة، مع إدراكها أن أى حرب مع إيران لن تكون محدودة ولا قابلة للضبط.

هذا التصعيد لا يُقدّم بوصفه ضرورة أمنية، بل كجزء من استعراض القوة ومحاولة إعادة إنتاج صورة الرئيس القوى فى مواجهة شارع غاضب، ومؤسسات مأزومة، وهيبة داخلية تتآكل. إيران هنا ليست سوى ساحة اختبار، حتى لو كان الثمن استقرار الشرق الأوسط بأكمله، وتهديد طرق الطاقة العالمية، وإشعال صراعات قد تمتد آثارها إلى ما هو أبعد من الإقليم.

وهنا لا يمكن تجاهل الدور المركزى للتحالف الأميركى الإسرائيلي، ودور اللوبيات الصهيونية التى تمسك بزمام التأثير فى إدارة ترامب وسياساتها الخارجية. لقد منحت هذه الإدارة الكيان الصهيوني، سياسيًا وعسكريًا، شيكا مفتوحًا غير مسبوق: دعمًا مطلقًا للحروب، وشرعنة للاحتلال والاستيطان، وتماهيًا كاملًا مع الرؤية الإجرامية للكيان التى ترى فى إيران عدوًا وجوديًا. وهذا لا يمكن فصله عن شبكة مصالح صهيونية عابرة للحدود، تتخذ من الحليف الأميركى ومعه الأوروبى أداة لبسط النفوذ والتمدد قدر الإمكان فى محيطها الإقليمي.

قرارات مثل نقل السفارة الأميركية إلى القدس، وشرعنة الاستيطان، والاعتراف بضم الجولان السوري، وتوفير الغطاء الكامل لجرائم الكيان فى غزة ولبنان، لم تكن مجرد انحياز تقليدي، بل إعلانًا رسميًا عن دفن فكرة الوسيط، ونسف ما تبقى من نظام دولى قائم على القواعد. وهنا يتقاطع جنون الفرد مع مصالح اللوبيات الصهيونية، لا بوصفه مؤامرة كونية مجردة، بل كتحالف فجّ بين سلطة مأزومة وقوى لا ترى فى العالم سوى ساحة مفتوحة لاختبار القوة وفرض الأمر الواقع.

ما يفعله ترامب وفريقه ليس سلسلة سياسات خاطئة قابلة للتصحيح، بل عملية تآكل ممنهجة لفكرة الاستقرار العالمى ذاتها. عالم بلا قواعد، وبلا مؤسسات ضابطة، وبلا قيم جامعة، هو عالم مرشح للانفجار. والتاريخ يعلّمنا أن انهيار النظام لا يولّد الحرية، بل يولّد الفوضى... والفوضى لا تخدم إلا الأقوى والأكثر توحشًا.

إن أخطر ما فى هذا الجنون الرسمى لترامب وإدارته أنه لا يبدو جنونًا عابرًا أو نزوة سياسية مؤقتة، بل تعبيرًا صارخًا عن أزمة بنيوية عميقة فى النظام الأميركى نفسه: أزمة دولة تتصدع من الداخل، وتواجه غضب شوارعها بالقمع، وتغطى فشلها بتصعيد خارجي. وحين تتحول الدولة الأقوى فى العالم إلى عامل زعزعة لا استقرار، يصبح السؤال الحقيقى ليس: إلى أين يتجه العالم؟ بل: كم سيدفع من الثمن قبل أن يتوقف هذا الانحدار؟

محمد الحمامصي

قالت العرب

أنت أقوى من نظام الطب؛ / أقوى من جهاز تنفسي؛/ ولست محتاجا - لتقتلني - إلى مرضي؛/ فكن أسمى من الحشرات؛ / كن من أنت كن قويا ، ناصعا ، / واخلع عنك أقنعة الثعالب؛/ كن فروسيا، بهيا، كامل الضربات؛

(محمود درويش)

الشهد

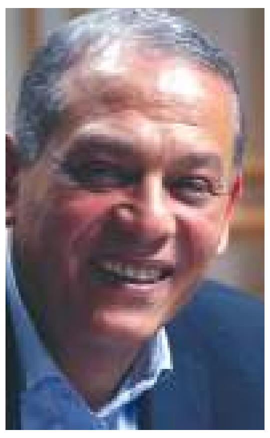
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

هذا ما ينتظره الناس من مجلس النواب الجديد

بعد أطول ماراثون انتخابى فى تاريخ مصر، والذى استمر ٩٩ يوما، أدى مؤخرا ٥٩٦ نائبا اليمين الدستورية تحت قبة البرلمان، لتبدأ دورة جديدة من الحياة النيابية فى مصر تمتد لخمس سنوات قادمة، والخارطة السياسية للبرلمان تشمل تمثيل ١٥ حزبا سياسيا، بالإضافة إلى ١٠٥ نواب مستقلين (ما يقرب من ٢٠٪ من المنتخبين)، بالإضافة إلى النواب المعينين، ليكتمل بذلك التشكيل الذى يعول عليه المواطن المصرى بعض آماله لتغيير أوضاعه، بأن يصنع تغييرا فارقا فى حياته اليومية بتشريعات قابلة للتطبيق، وأن كانت هذه أحلام المواطن بالمجلس الذى يمثله، فالخبراء والمختصون لا يبعدون كثيرا عن هذه الطموحات، إنما يقدمون رؤية واضحة وبوصلة يمكن أن يستعين بها النواب فى طروحاتهم تحت القبة، والتحقيق التالى يكشف بعضا من هذه الرؤى المختصة..



ناجى الشهابي:
المواطن يأمل فى استعادة الدور الدستورى الكامل للبرلمان



محمد أنور السادات:
البث المباشر للجلسات يعطى مصداقية للأعضاء داخليا وخارجيا



رضا أبو صالح:
استعادة ثقة المواطن أكبر التحديات أمام البرلمان الجديد



مجدى عشماوي:
نحتاج لبيئة تشريعية تجذب البنوك الرقمية العالمية لتعمل فى مصر



أسامة بديع: البرلمان
ليس مجرد غرفة لإقرار مشروعات القوانين المحالة من الحكومة



د. إيمان بيبرس:
تمثيل المرأة فى البرلمان ضرورة تفرضها متطلبات التنمية



أحمد عناني: ننتظر
حزمة من التشريعات تواكب الجمهورية الجديدة ورؤية 2030

قال النائب ناجى الشهابى رئيس حزب الجيل الديمقراطى وعضو مجلس الشيوخ: إن انعقاد الجلسة الافتتاحية للبرلمان الجديد فى مصر يأتى فى لحظة دقيقة من عمر الوطن، تتشابك فيها التحديات الاقتصادية مع التهديدات الإقليمية، وتتزايد فيها تطلعات المواطنين إلى برلمان قوى وفاعل يكون صوتهم الحقيقى وحصنهم التشريعى والرقابي.

وأوضح الشهابى أن التحدى الأول أمام هذا المجلس يتمثل فى استعادة الدور الدستورى الكامل للبرلمان، بوصفه سلطة تشريعية ورقابية تعبّر عن نبض الشارع، لا مجرد غرفة لإقرار القوانين. ويأتى على رأس هذه التحديات الوضع الاقتصادى الضاغط، وتداعياته الاجتماعية، وملفات العدالة الاجتماعية، وضبط الأسواق، وحماية الطبقة الوسطى، إلى جانب تحديات الأمن القومى فى محيط إقليمى شديد الاضطراب، ما يفرض على البرلمان مسؤولية تشريعية دقيقة لا تحتمل التسرع أو الانفصال عن الواقع.

وأضاف رئيس حزب الجيل أن التحدى الثانى يكمن فى جودة التشريع، لا كثرته، فالشعب لا ينتظر قوانين جديدة بقدر ما ينتظر قوانين عادلة، متوازنة، قابلة للتطبيق، لا تُحمّل المواطن أعباء إضافية، ولا تُضعف الثقة فى الدولة أو مؤسساتها. كما أن تفعيل الدور الرقابى الحقيقي، ومحاسبة الأداء التنفيذى وفق أدوات دستورية راقية، سيكون معيارًا حاسمًا لنجاح هذا المجلس.

وفيما يتعلق بما هو متوقع من البرلمان لصالح الشعب، أكد الشهابى أن المواطن ينتظر مجلسًا ينحاز له بوضوح، يدافع عن حقه فى السكن الآمن، والتعليم الجيد، والرعاية الصحية اللائقة، والأجر العادل، ويحمى الملكية الخاصة، ويوازن بين ضرورات الإصلاح الاقتصادى ومتطلبات العدالة الاجتماعية، دون تهوين أو تهويل. كما ينتظر برلمانًا يشرح له الحقائق بشفافية، ويشاركه التحديات، بدل أن يتركه فريسة للشائعات أو القلق.

ووجّه الشهابي، بصفته برلمانيًا مخضرمًا، مجموعة من النصائح لأعضاء المجلس الجديد، فى مقدمتها: أن يتذكر النائب دائمًا أن مقعده أمانة لا وجاهة، وأن دوره الرقابى لا يقل أهمية عن دوره التشريعي، وأن القرب من المواطن والاستماع الحقيقى لمشكلاته هو أساس الشرعية البرلمانية. كما دعا النواب إلى احترام التخصص داخل اللجان، وعدم تحويل البرلمان إلى ساحة شعارات أو صراعات جانبية، والتركيز على القضايا الجوهرية التى تمس حياة الناس وأمن الوطن.

واختتم رئيس حزب الجيل الديمقراطى بالتأكيد على أن البرلمان القوى لا يُقاس بحدة الخطاب ولا بكثرة البيانات، بل بقدرته على صناعة تشريع عادل، وممارسة رقابة واعية، وبناء جسور ثقة بين الدولة والمجتمع، مشددًا على أن نجاح هذا المجلس هو جزء أصيل من معركة الدولة المصرية من أجل الاستقرار والتنمية وحماية الأمن القومي.

وأضاف: "الشعب لا ينتظر برلمانًا صاخبًا... بل برلمانًا صادقًا، يشعر المواطن معه أن صوته حاضر، وحقوقه مصانة، ووطنه فى أيدٍ أمينة."

على الهواء مباشرة

ويؤكد النائب محمد أنور السادات رئيس حزب الإصلاح والتنمية أن البرلمان الجديد عليه مسؤولية استعادة ثقة الشارع المصرى من خلال أدائه وممارسته لدوره البرلماني، خاصة وأن إنشاءه وتكوينه تم فى ظل ظروف صعبة.

ويرى السادات أن استعادة الثقة والدور الحقيقى للأحزاب لن يتأتى إلا بالمواقف التى يمكن أن نراها جلية منعكسة على حياة المواطن، ويقول: ومن هنا تأتى ضرورة إذاعة الجلسات ونقلها على الهواء مباشرة لمتابعة مجريات الجلسات وكيفية مناقشة الأعضاء وأداء دور كل منهم، بصرف النظر عن التحفظات التى سبقت الدورات السابقة، فالمواطن يريد أن يرى النواب يقومون بدورهم من حيث المساءلة الحكومية، وطرح قضايا الناس.

وأكد أن هذا البرلمان يأتى محملا بأجندة تشريعية مزدحمة، وقوانين متأخرة مثل الأحوال الشخصية، وقانون الإيجار القديم، وعلى رأس هذه الأجندة القوانين المتعلقة بالعملية الانتخابية نفسها، وإنشاء الأحزاب ومباشرة دورها السياسي، هذه المناقشات العلنية ممكن أن تريح الرأى العام، عندما يرى المواطنون مناقشة قضاياهم بشفافية مطلقة.

وأضاف: أرى أن الكل يستعد، ونحن كحزب وآخرون لدينا برامج وأفكار لطرحها للمناقشة، وعلينا أن نعطى فرصة ونتفاءل، وهى فرصة للأعضاء لإثبات استحقاقهم الانتخابى داخليا، والحفاظ على سمعة مصر البرلمانية فى الخارج أيضا.

الإصلاح السياسي

ويرى أسامة بديع الباحث فى العلوم السياسية أنه رغم حالة الريبة الواسعة التى أحاطت بالعملية الانتخابية، والتى دفعت الرئيس إلى استخدام الفيتو فى الاعتراض على بعض الممارسات الانتخابية، فإننا اليوم أمام أمر واقع يتمثل فى برلمان جديد سيستمر لفصل تشريعى كامل مدته خمس سنوات، وهو ما يحمله مسؤولية سياسية وتشريعية جسيمة لا تحتمل التراخى أو الأداء الشكلي.

ويقول: المطلوب من مجلس النواب الجديد أن يمارس دوره الحقيقي، لا الشكلي، فى مجالات التشريع والرقابة، وأن يتحمل مسؤوليته الدستورية فى إقرار السياسات العامة للدولة بما يخدم الصالح العام، لا باعتباره مجرد غرفة لإقرار مشروعات القوانين المحالة من الحكومة.

وانطلاقًا من هذا الدور، يجب أن تتصدر أجندة الإصلاح السياسى أولويات البرلمان، باعتبارها المدخل الرئيسى لتهيئة مناخ سياسى صحى وسليم. ولن يتحقق ذلك إلا من خلال مراجعة جادة وشاملة للتشريعات المنظمة للحياة السياسية، وفى مقدمتها قانون الأحزاب السياسية، وقانون مباشرة الحقوق السياسية، وقوانين الانتخابات، وقانون تقسيم الدوائر، وقانون الإدارة المحلية، بما يضمن توسيع المشاركة السياسية وفتح المجال العام وتحقيق قدر حقيقى من التعددية والتنافسية.

وعلى الصعيد الاقتصادى لا يجوز أن يظل البرلمان شاهدًا على تفاقم أزمة الديون دون ممارسة رقابة حقيقية، المطلوب هو تشديد الرقابة على سياسات الاقتراض، ووقف نزيف الديون، وإخضاع القروض لدراسات جدوى اقتصادية واضحة وشفافة قبل الموافقة عليها، حفاظًا على حقوق الأجيال القادمة.

كما يتحمل البرلمان مسؤولية مباشرة عن استمرار غياب عدد من القوانين المكمّلة للدستور التى كان يفترض إقرارها منذ سنوات، وعلى رأسها قانون مفوضية عدم التمييز، وقانون حرية تداول المعلومات، ويضاف إلى ذلك ضرورة إصلاح التشريعات المرتبطة بالملف الحقوقي، وفى مقدمتها قانون الإجراءات الجنائية الذى أثار جدلًا واسعًا فى آخر أدوار الانعقاد، وقانون حماية الشهود والمبلّغين، وغيرها من القوانين التى تمس جوهر العدالة القضائية وسيادة القانون، وتسهم فى إنهاء أوضاع الحبس على ذمة قضايا سياسية أو قضايا متعلقة بحرية الرأى والتعبير.

إن الرهان الحقيقى على البرلمان الجديد هو أن تكون له أجندة تشريعية مستقلة تعبّر عن المواطنين واحتياجاتهم الفعلية، لا أن يكتفى بدور الممر التشريعى للحكومة، وأن يلتزم عند إقرار السياسات العامة، خصوصًا فى مجالى التعليم والصحة، بالنسب الدستورية الملزمة التى نص عليها الدستور، كما أن تجاهل بعض الملفات الشائكة، مثل قانون الإيجار القديم، دون حوار مجتمعى جاد وحلول متدرجة، قد تكون له تداعيات اجتماعية خطيرة، وهو ما يستوجب من البرلمان التعامل معه بمسؤولية وشجاعة سياسية.

الرقابة النمطية

وأشار بديع إلى أن أحد أبرز التحديات التى تواجه البرلمان الجديد هو كسر نمط الرقابة الشكلية التى سادت فى الفصول التشريعية السابقة، والانتقال إلى رقابة حقيقية وفعالة تستخدم أدواتها الدستورية كاملة، وعلى رأسها الاستجوابات الجادة والمكتملة الأركان، فالمواطن طوال السنوات الماضية، لم يشعر بوجود محاسبة فعلية، أو بأن هناك مسؤولين يخضعون للمساءلة السياسية، وهو ما خلق أزمة ثقة كبيرة لا يمكن تجاوزها إلا ببرلمان يثبت عمليًا أن لا أحد فوق المساءلة.

ويضاف إلى ذلك أن البرلمان جاء فى ظروف سياسية وانتخابية مضطربة، ومأزومة، وهو ما يجعله فى حاجة حقيقية إلى اكتساب ثقة المواطن من خلال الممارسة الفعلية والاستقلالية فى القرار، وليس عبر الخطاب أو الوعود، فالثقة لا تُمنح، وإنما تُبنى عبر أداء تشريعى ورقابى واضح ومتماسك.

التجربة الأولى

وأوضح بديع أن البرلمان يواجه تحديًا داخليًا يتمثل فى أن عددًا لا بأس به من النواب يخوضون تجربتهم الأولى فى العمل السياسى من الأساس، وليس فقط فى العمل البرلماني، وهو ما يتطلب جهدًا مؤسسيًا من المجلس ذاته لتأهيل النواب، وتنظيم العمل البرلماني، وتفعيل دور اللجان النوعية، بما يضمن عدم تحول حداثة التجربة إلى عائق أمام أداء المجلس.

وفى حال وجود تعديلات دستورية كما يتردد فى بعض الأوساط، فإن ذلك سيضع البرلمان أمام أكبر اختبار لمسؤوليته التاريخية، حيث تقع عليه مهمة إدارة هذا الملف بمنتهى الجدية والشفافية، وضمان فتح حوار مجتمعى حقيقي، والتعامل مع أى تعديلات محتملة باعتبارها شأنًا وطنيًا عامًا لا يخص السلطة وحدها، وبما يحافظ على التوازن بين السلطات ويصون روح الدستور ومكتسباته، وعدم الالتفاف على هذه المكتسبات

وفى المجمل فإن نجاح البرلمان الجديد فى مواجهة هذه التحديات مرهون بقدرته على ترسيخ استقلاليته، وتقديم نموذج برلمانى مختلف، يعيد الاعتبار لدور السلطة التشريعية بوصفها معبّرة عن الإرادة الشعبية، لا مجرد امتداد للسلطة التنفيذية.

منظومة التعليم

ويرى رضا محمد أبو صالح عضو اللجنة الاستشارية بحزب المصريين الأحرار بأمانة الدقهلية أن المنتظر من مجلس النواب الجديد أن يكون مجلسا قريبا من نبض الشارع معبرا عن هموم المواطن الحقيقية، لا أن يكتفى بدور شكلى أو تشريعى منفصل عن الواقع، ويقول: المواطن ينتظر برلمانا يضع الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة فى صدارة أولوياته من خلال تشريعات تضبط الأسواق وتواجه الغلاء وتدعم الإنتاج المحلى وتوسيع فرص العمل فى إطار رؤية تنموية شاملة ومستدامة كما ينتظر دورا فاعلا فى حماية حقوق العمال وربط التعليم بسوق العمل ودعم الأسرة المصرية بتشريعات متوازنة تحفظ تماسكها وتراعى مصلحة الطفل وفى ملفات الصحة والتعليم المطلوب تحرك جاد للإسراع فى استكمال منظومة التأمين الصحى الشامل وضمان جودة الخدمة إلى جانب تبنى رؤية واضحة ومستقرة لمنظومة الثانوية العامة وتطوير المناهج بما يتواكب مع وظائف المستقبل والمهارات الحديثة وبما ينسجم مع مستهدفات التنمية البشرية فى رؤية مصر ٢٠٣٠ باختصار الناس تنتظر مجلسا يشعر بهم ويتحدث بلغتهم ويقيس نجاحه بما يحققه على أرض الواقع من تحسن حقيقى فى جودة الحياة

ثقة المواطن

ويرى أبو صالح أن أكبر التحديات أمام البرلمان الجديد هو استعادة ثقة المواطن فى ظل تراكم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية واتساع الفجوة بين النصوص القانونية والتطبيق الفعلي، فالتحدى الحقيقى لا يكمن فى سن قوانين جديدة بقدر ما يكمن فى الرقابة الجادة على التنفيذ ومحاسبة المقصرين وضمان وصول أثر السياسات العامة إلى الفئات الأكثر احتياجا، كما يواجه المجلس تحديات متشابكة تتعلق بملفات البطالة والشباب وتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المحلية غير المتوازنة إلى جانب مواكبة التحول الرقمى وما يفرضه من تشريعات حديثة ويضاف إلى ذلك تحدى ترجمة أهداف التنمية المستدامة ورؤية مصر ٢٠٣٠ إلى سياسات وتشريعات قابلة للتنفيذ تضمن استدامة الموارد وتحقيق نمو اقتصادى شامل ومراعاة البعد البيئى وعدم تحميل الأجيال القادمة أعباء إضافية والنجاح فى مواجهة هذه التحديات يتطلب شجاعة فى الطرح ووضوحا فى الأولويات وانحيازا دائما للإنسان البسيط، فالبرلمان القوى ليس من يكثر الكلام بل من يملك الإرادة لتحويل مطالب الناس وخطط الدولة إلى واقع ملموس.

تحسين الأداء

ويرى الخبير المصرفى والاقتصادى مجدى عشماوى أن البرلمان فى فصله الثالث هو المسرع التشريعى لرؤية مصر ٢٠٣٠. وننتظر منه تحويل الاستراتيجيات الكبرى التى وضعتها الدولة إلى قوانين مرنة تجذب الاستثمار. الدور ليس فقط الرقابة بمعنى تصيد الأخطاء، بل الرقابة بمعنى ضمان كفاءة التنفيذ، لنتأكد أن كل جنيه فى الموازنة يخدم الإنتاج ويقلل الاعتماد على الاستيراد.

ويقول إن تحدى التضخم هو معركة عالمية، والبرلمان الجديد يملك سلاحين؛ الأول هو الرقابة الميدانية عبر أدواته لضمان انضباط الأسواق، والثانى هو التشريعات التى تشجع سلاسل الإمداد والخدمات اللوجستية. ونحن نحتاج لقوانين تقلل الهالك من السلع الزراعية مثلاً لخفض تكلفتها على المواطن. البرلمان هنا يعمل كظهير يحمى القوة الشرائية للمواطن بالتكامل مع جهود الحكومة.

الدعم والبنوك الرقمية

وطرح عشماوى ملف التحول من الدعم العينى إلى الدعم النقدى كأحد الملفات الشائكة التى تواجه الدورة البرلمانية الجديدة، ويقول: "هذا الملف يتطلب حواراً مجتمعياً تحت قبة البرلمان. فالتوجه للدعم النقدى هو توجه عالمى لضمان وصول الدعم لمستحقيه ومنع الهدر، ودور البرلمان هنا هو وضع المعايير القانونية الصارمة لضمان عدم سقوط أى أسرة مستحقة، وضمان وجود آلية لربط قيمة الدعم بمعدلات التضخم دورياً. نحن نبحث عن كفاءة الدعم وليس تقليصه."

وأوضح أنه يمكن للبرلمان أن يساعد فى تقليص فجوة الدين العام خاصة بعد أن وضعت الدولة بالفعل سقفاً للدين العام، ودور البرلمان هو تحويل هذا السقف إلى ثقافة مؤسسية. والبرلمان الجديد سيناقش الموازنات من منظور "العائد على الاستثمار". كما أن له دور كبيرا فى دعم المشاريع الخضراء كبدائل تمويلية ذكية وأقل تكلفة، مما يخفف العبء عن الأجيال القادمة."

وفيما يخص القطاع المصرفى والتحول الرقمى أكد عشماوى أن القطاع المصرفى المصرى قوى جداً، والبرلمان الجديد مطالب بتحديث التشريعات لتواكب ال (FinTech) والخدمات المصرفية الرقمية. نحن نحتاج لبيئة تشريعية تجذب البنوك الرقمية العالمية لتعمل فى مصر، وهذا سيزيد من الشمول المالى ويدمج الاقتصاد غير الرسمي، مما يزيد الحصيلة الضريبية للدولة دون فرض ضرائب جديدة."

وخلص إلى أن البرلمان مطالب بإصدار قانون يمنح إعفاءات ضريبية أو "خصومات استثمارية" لكل مصنع أو شركة تستخدم طاقة نظيفة أو تلتزم بإعادة تدوير مخلفاتها، وتطوير قانون "المشاركة مع القطاع الخاص لأن القانون موجود لكنه يحتاج تبسيط لتقليل وتسريع الدورة المستندية، وإصدار تشريعات لتسهيل دخول المستثمر كشريك للدولة فى إدارة مشروعات (الموانئ، والمطارات، ومحطات المياه) شرط أن الدولة تملك الأصل، والقطاع الخاص يدير ويطور، والبرلمان يراقب لضمان مصلحة المواطن، وإصدار تشريع لتنظيم سوق الكربون، وهو نظام يسمح للشركات التى تقلل انبعاثاتها ببيع "شهادات كربون" لشركات أخرى ملوثة مما يخلق مصدر دخل جديد تماماً للشركات المصرية. المصنع الذى يوفر فى التلوث، يقدر يبيع 'شهادة' بآلاف الدولارات لمستثمر أجنبي، مما يجلب عملة صعبة للبلد ويحافظ على البيئة وهو نظام معمول به عالميا.

وكذلك تشريعات تخص الشفافية والإفصاح (البيئي) بحيث يلزم الشركات الكبرى المقيدة فى البورصة بتقديم تقرير سنوى عن أثرها "البيئى والمجتمعى بهدف" رفع تصنيف مصر الائتماني. المستثمر العالمى الآن لا يضع أمواله فى بلد إلا لو كانت شركاتها شفافة تحترم البيئة، وهذا قانون "سمعة مصر الاستثمارية".

أما الدور الرقابى للبرلمان فيرى أنه يتمثل في: الانضباط المالي: بالالتزام بسقف الدين العام.

والحوكمة بالتأكد من شفافية العقود والمناقصات الكبرى، والكفاءة بمراجعة العائد من المشروعات القومية بعد تشغيلها، وأخيرا التعاون بتقديم حلول تشريعية للمشاكل المالية التى تواجه الحكومة.

الجمهورية الجديدة

ويقول أحمد عنانى القيادى بحزب المصريين الأحرار: هذا البرلمان شديد الأهمية نظرا لأن الدولة تريد أن تستكمل القفزة التشريعية والمؤسسية، وأعتقد أن رؤية مصر ٢٠٣٠ والتنمية المستدامة بشكل أوسع، سواء المدن الذكية أو الرقمنة والتوسع فى استخدام الذكاء الاصطناعى والخدمات السريعة، وحزمة تشريعية تخص حياة المواطن من الناحية الاقتصادية، فلابد لقانون الاستثمار الموحد أن يتوسع بشكل كبير، وأن تكون هناك قوانين تتيح للمستثمر التسهيلات دون ضرر بالقطاع الخاص، فعندنا مشاكل كبيرة هى تشريعية بالأساس، وننتظر من البرلمان الجديد الحد منها أو تعديلها بحسب احتياجات المجتمع المصري، وهنا أقصد الملف الاقتصادى المتشعب، والملف الاجتماعى الذى يحوى كثير من الملفات التى تمس المواطن بشكل مباشر مثل الملفات الصحية؛ فهناك مستشفيات، تأمين صحي، كيف للمريض أن يعالج ويتلقى هذا العلاج على نفقة الدولة، وهذا يحتاج إلى مناقشة موسعة وتعديل قوانين وموازنة عامة تكون أكبر مما هو متاح حاليا، لابد أن تقوم اللجان بدورها، وبرلمان يستجوب الوزراء ويقوم بمحاسبتهم، ويمكن القول أن تفعيل الأدوات الرقابية والتشريعية التى يعول عليها المواطن البسيط فى الشارع المصري، خاصة وأن هذا التشكيل البرلمانى يحمل تنوعا من أحزاب سياسية كثيرة من موالاة ووسط ومعارضة، وبالتالى يمثل كافة التوجهات الايدولوجية والسياسية، فنحن نتحدث عن برلمان به نسبة كبيرة من تمثيل الشباب والمرأة.

التحدى هو اثبات الثقة التى استحقها النائب من المواطن الذى انتخبه، سواء نائب حزبى أو مستقل، وبالتأكيد أن لكل نائب برنامج يعتمد على التوجهات السياسية من رقابة وتشريع، كيف أراقب الحكومة فى أدائها ومحاسبتها، ومشاكل التشريعات الحالية، وهل لو شرعت قانونا سينبثق منه مجموعة من الخدمات تحسن من حياة المواطن، وبالطبع هناك عدة قوانين لم يتم حسمها فى البرلمان السابق، مثل قانون المالك والمستأجر، لأن الناس تراقب الأحزاب والنائب المستقل بعد وثقت فيهم وأعطتهم صوتها، فهل سيحقق كل منهم تطلعات الناخب المصرى أو أنه سيزيحه عن الانتخابات التالية، فإثبات الاستحقاق الانتخابى هو أكبر التحديات التى تواجه الأحزاب والمستقلين على حد سواء، وما تحقق من الوعود الانتخابية من رقابة وشفافية، فلا بد أن تكون هناك أولوية لعدد من الملفات مثل التعليم، والمحليات المتخمة بالمشاكل، فى ظل هذا التطور الذى يشرف عليه الرئيس عبدالفتاح السيسي، فالمواطن والدولة معا ينتظرون تشريعات تواكب الجمهورية الجديدة وتطلعات الدولة وعصر المعرفة، وأن تمثل هذه القوانين بيئة آمنة للمواطن المصري، وأن تتحول القوانين والتشريعات إلى خدمات، مثل قانون التأمين الصحى الشامل، وأيضا لجان نوعية كثيرة مثل لجنة حقوق الإنسان، لابد أن توفر آلياتها فيما يمس حقوق المواطن، ولجنة العلاقات الخارجية التى تقيم علاقة مع الحكومات الخارجية التى تربطها علاقات سياسية واقتصادية، وبالتالى تحتاج إلى تفعيل ما يطلق عليه الدبلوماسية البرلمانية حتى تكون هناك علاقة بأحزاب العالم الحاكمة لحكوماتها، ولا تكون العلاقة فقط عن طريق القناة الرسمية الممثلة فى وزارة الخارجية، إنما علاقة دبلوماسية برلمانية والقنوات التشريعية.

تمكين المرأة

من جهتها أشادت الدكتورة إيمان بيبرس رئيس مجلس إدارة ومؤسسة جمعية نهوض وتنمية المرأة باختيار السيدات النائبات فى مجلس النواب المصري، باعتباره خطوة سياسية مهمة ومعبرة تعكس تطورًا واضحًا فى مسار تمكين المرأة وتعزيز مشاركتها فى مواقع صنع القرار.

وقالت: إن تمثيل المرأة فى البرلمان لم يعد حضورًا شكليًا أو تمثيلًا رمزيًا، بل أصبح ضرورة تفرضها متطلبات التنمية، وعدالة التمثيل، وبناء سياسات عامة أكثر استجابة لاحتياجات المجتمع ووجود المرأة تحت قبة البرلمان اليوم هو نتاج كفاءة وخبرة واستحقاق حقيقي.

وأوضحت بيبرس أن البيانات الرسمية تشير إلى تقدم ملموس فى تمثيل المرأة فى الحياة النيابية المصرية خلال السنوات الماضية، ففى البرلمانات السابقة قبل عام ٢٠١٢ كانت نسبة تمثيل المرأة أقل من ٢٪ من الإجمالي، مما يعكس محدودية مشاركتها السياسية فى تلك الفترات. ومع انتخابات ٢٠١٠ ارتفعت النسبة إلى نحو ١٢,٧٪، ثم انخفضت فى ٢٠١٢ إلى حوالى ٢٪ مجددًا، وفى برلمان ٢٠١٥، ومع تطبيق نظام (الكوتا)، ارتفعت نسبة تمثيل المرأة إلى حوالى ١٥٪ من مقاعد مجلس النواب، وهو أعلى مستوى حتى ذلك الوقت، وشهدت انتخابات ٢٠٢٠ قفزة نوعية، حيث بلغت نسبة تمثيل المرأة فى مجلس النواب نحو ٢٧٪ من إجمالى المقاعد - أعلى نسبة فى تاريخ المشاركة النسائية فى الحياة النيابية المصرية.

ومع انتهاء انتخابات عام ٢٠٢٦/٢٠٢٥، وإعلان التعيينات الأخيرة من رئيس الجمهورية فى مجلس النواب ٢٠٢٦، تم تعيين ٢٨ عضوًا رئاسيًا فى البرلمان، من بينهم ١٤ سيدة، أى أن ٥٠٪ من المعينات كانوا من النساء، وبهذا تصل نسبه تمثيل المرأة ٢٧٪ وهو مؤشر جديد يُسهم فى رفع التمثيل البرلمانى للمرأة ضمن آليات التعيين الرسمية.

وتؤكد بيبرس أن النائبات اللاتى تم اختيارهن يتمتعن بسجل مهنى وخبرات راسخة وحضور مؤثر فى مجالات تخصصهن، بما يجعل وجودهن قيمة مضافة حقيقية للعمل التشريعى والرقابي، ويسهم فى طرح قضايا المجتمع بعمق ومسؤولية، خاصة القضايا المرتبطة بالحقوق الاجتماعية، والعدالة، والأسرة، والتنمية.

كما ترى أن تعزيز تمثيل المرأة فى البرلمان يسهم فى بناء برلمان أكثر تنوعًا وتوازنًا، ويعكس بصورة أفضل واقع المجتمع المصرى وتعدد فئاته، ويعزز من جودة التشريعات والسياسات العامة، ويقوى دور البرلمان فى الرقابة والمساءلة.

وفى هذا الإطار، نتطلع إلى أن تقوم النائبات بدور قوى ومسؤول فى الدفاع عن الحقوق، والمشاركة الفاعلة فى صياغة التشريعات، والمساهمة الجادة فى صناعة القرار بما يخدم مصلحة مصر والمواطنين.

وتؤكد أن تمكين المرأة سياسيًا سيظل أحد محاور اهتماماتها واهتمامات الجمعية، وأنها ستواصل دعم كل الجهود والسياسات التى تعزز مشاركة المرأة فى الحياة العامة، باعتبارها شريكًا أصيلًا فى بناء دولة عادلة وقادرة على مواجهة التحديات وتحقيق التنمية المستدامة.

تحقيق - آمال رتيب:

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

قالت العرب

ياللي بتبحث عن إله تعبده.. بحث الغريق عن أي شيء ينجده
الله جميل وعليم ورحمن رحيم.. أحمل صفاته ..
وانت راح توجده
عجبي





الباحث والمترجم الصيني أنيس وانغ جيا شيوان



الصين.. كيف توازن بين النمو الاقتصادى والهوية الثقافية

رحلة أربعة أشهر تكشف كيف تدير الصين تحولاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بهدوء وثبات

لم تكن الصين التى عرفتها خلال الأشهر الأربعة التى قضيتها على أرضها بلدًا يمكن اختزاله فى عنوان سياسى أو رقم اقتصادى أو صورة نمطية جاهزة، بل كانت تجربة متكاملة، متعددة الطبقات، تفرض على من يعيشها أن يعيد النظر فى كثير من المسلّمات التى اعتاد التعامل معها بوصفها حقائق نهائية.

الصين، كما عايشتها، ليست دولة تسعى إلى إبهار الزائر بقدر ما تسعى إلى إقناعه بقدرتها على الاستمرار، وعلى إدارة التحولات الكبرى بهدوء، وبعقل طويل النفس، وبإيمان راسخ بأن الزمن جزء من أدوات القوة.

منذ اللحظة الأولى فى بكين، يتشكل انطباع مختلف، العاصمة الصينية لا تستقبلك بصخب المدن العالمية ولا ببرود العواصم السياسية التقليدية، بل بشعور عميق بالنظام.



مؤتمر الحوكمة عالية الفعالية في بكين



مدينة الربوتات في مدينة ووشي

النظام اليومى والحوكمة العميقة

كل شيء يبدو محسوبًا، من حركة السير إلى توقيت المترو، من الخدمات العامة إلى تفاصيل التعامل اليومي، فهذا الانضباط لا يُفرض بالقوة الظاهرة، بل ينبع من ثقافة عامة ترى فى الاستقرار قيمة أساسية، وفى التنظيم شرطًا للحياة اليومية.

بكين ليست فقط مركز القرار السياسي، بل تجسيد حى لفلسفة حكم ترى أن الدولة لا تُدار بردّات الفعل، بل بالتخطيط الهادئ.

الاقتصاد الصيني، كما يظهر فى الحياة اليومية، ليس كيانًا مجردًا يُقرأ فى التقارير، بل تجربة معيشة، الاعتماد شبه الكامل على الدفع الإلكتروني، انتشار التطبيقات الذكية فى كل تفاصيل الحياة، سهولة الوصول إلى الخدمات، كلها مؤشرات على اقتصاد متداخل مع المجتمع.

هذا التداخل لا يعنى غياب الدولة، فالدولة لا تُزاحم المواطن فى تفاصيل حياته، لكنها ترسم الإطار الذى يسمح للاقتصاد أن يعمل بسلاسة.

فى هذا السياق، يبرز حضور الرئيس الصينى شى جين بينغ بوصفه المرجعية الفكرية والسياسية للمرحلة. كلماته لا تُستحضر بوصفها شعارات، بل بوصفها عناوين كبرى لمسار طويل.

حديث الرئيس شى عن "التنمية عالية الجودة" يتكرر فى الجامعات، وفى مراكز البحث، وفى الإعلام، وكأنه التعبير المكثف عن انتقال الصين من مرحلة النمو السريع إلى مرحلة أكثر نضجًا، حيث لا يصبح الهدف هو التوسع فقط، بل تحسين النوع، وضمان الاستدامة، وتقليص الفجوات الاجتماعية.

كلمة شى جين بينغ حول الاقتصاد الصيني، التى أكد فيها قدرة البلاد على مواجهة التحديات العالمية، لم تُقرأ فى الداخل باعتبارها مجرد رسالة طمأنة، بل بوصفها إعلان ثقة بالنموذج الصينى نفسه. الصين لا تنكر التحديات، لكنها لا تتعامل معها كأزمات وجودية.

هناك إيمان واضح بأن التخطيط طويل الأمد، والقدرة على التدخل عند الضرورة، يمنحان الدولة هامش أمان واسعًا.

الخطة الخمسية تمثل العمود الفقرى لهذا العقد، لكنها، كما اتضح لى من خلال النقاشات الأكاديمية التى حضرتها فى بكين، ليست وثيقة جامدة، هى إطار عام يحدد الاتجاهات الكبرى، ويترك للمقاطعات هامشًا واسعًا للاجتهاد.

المركز يضع الرؤية، لكن التنفيذ يتم بمرونة، فالتوازن بين المركزية والانفتاح هو أحد أسرار الاستقرار الصيني، الدولة قوية، لكنها ليست متصلبة.

مساحة واسعة للحركة

فى شنغهاي، يتجسد هذا النموذج بوضوح، فالمدينة تبدو كواجهة الصين الاقتصادية للعالم، لكنها فى الوقت نفسه مختبر داخلى للسياسات الجديدة.

الابتكار هنا ليس حكرًا على الشركات الكبرى، بل يمتد إلى الجامعات، ومراكز الأبحاث، والشركات الناشئة. العلاقة بين الدولة والقطاع الخاص ليست علاقة صراع، بل علاقة تنظيم وتكامل.

الدولة تحدد الإطار، وتراقب الاتجاه، لكنها تترك مساحة واسعة للحركة، الانتقال إلى مقاطعات أخرى كشف وجوهًا مختلفة للصين، لكنها جميعًا تتحرك ضمن المسار نفسه.

فى جيانغسو، حيث تتجاور الصناعة الثقيلة مع التكنولوجيا الحديثة، بدا واضحًا أن التنمية لم تعد تُدار بمنطق الإنتاج وحده.

هناك وعى متزايد بأهمية البيئة، وبضرورة تحقيق توازن بين النمو الصناعى وجودة الحياة. هذا التحول لا يأتى من ضغط خارجي، بل من إدراك داخلى بأن الاستدامة شرط للاستمرار.

فى جيانغشي، بدت الصورة أكثر هدوءًا، لكنها لا تقل دلالة. القرى هنا ليست خارج حسابات الدولة، بل جزء من مشروعها. التنمية الريفية لم تعد شعارًا، بل سياسة عملية.

الطرق، التعليم، الخدمات الصحية، وربط المنتجات الزراعية بالأسواق، كلها عناصر تهدف إلى منع تفريغ الريف، والحفاظ على التماسك الاجتماعي، الدولة لا تريد مدنًا مكتظة وأطرافًا مهمشة، بل مجتمعًا متوازنًا.

زيارة مدينة جينغدهتشن، مدينة الخزف، كانت نافذة على علاقة الصين بتراثها، حيث أن الحرف التقليدية لا تُحفظ فى المتاحف فقط، بل تُدمج فى الاقتصاد المعاصر، فالتراث ليس عبئًا، بل موردًا اقتصاديًا وثقافيًا يعزز الهوية ويخلق فرص عمل.

هاينان قدمت نموذجًا مختلفًا للانفتاح، الجزيرة التى تتحول إلى منطقة تجارة حرة لا تفعل ذلك على حساب سيادتها. الانفتاح هنا محسوب، ومدروس، ومربوط بأهداف واضحة.

الصين لا تفتح أبوابها بلا شروط، ولا تنغلق خوفًا من العالم، هى تفاوض من موقع الثقة، وتختبر السياسات قبل تعميمها.

هذا الفهم المتوازن للانفتاح ينعكس بوضوح فى السياسة الخارجية الصينية، فقد كشفت تصريحات وزير الخارجية الصيني، التى تابعتها خلال فترة وجودى فكرة التعددية، وعلى رفض منطق الهيمنة، فالصين لا تسعى إلى فرض نموذجها على الآخرين، لكنها تطالب باحترام خصوصيتها.

التحديث الصينى بين الأصالة والابتكار

اللافت أن هذا الخطاب الخارجى متسق مع الداخل، الحوكمة الصينية تقوم على فكرة الاستقرار أولًا، وعلى إدارة التناقضات بدل تفجيرها، فالدولة لا تدّعى الكمال، لكنها تؤمن بقدرتها على التصحيح الذاتي.

هذا ما لمسناه فى النقاشات الأكاديمية حول التحديث الصيني، حيث يتم الاعتراف بالتحديات دون تهويل أو إنكار.

الإعلام الصيني، الذى غالبًا ما يُقدّم خارجيًا بصورة نمطية، بدا لى أكثر تعقيدًا مما يُصور، صحيح أنه يعمل ضمن إطار سياسى واضح، لكنه يشهد تطورًا مهنيًا وتقنيًا ملحوظًا. التركيز على الإعلام الرقمي، وعلى مخاطبة الخارج بلغاته وثقافاته، يعكس إدراكًا متزايدًا لأهمية السردية فى عالم تنافسي.

تجربة تدريس اللغة العربية فى الصين كانت من أكثر التجارب دلالة على عمق التفاعل الحضاري، العربية هناك ليست لغة هامشية، بل أداة تواصل دبلوماسى وثقافي.

الطلاب الذين يدرسونها يفعلون ذلك ضمن رؤية ترى فى العالم العربى شريكًا استراتيجيًا. هذا الاستثمار فى اللغة يعكس فهمًا عميقًا لقوة الثقافة فى العلاقات الدولية.

حياة يومية

فى الحياة اليومية، كانت بكين تقدم دروسها الخاصة النظام فى وسائل النقل، الانتشار الواسع للدراجات الكهربائية، الاعتماد شبه الكامل على التكنولوجيا، كلها تفاصيل تعكس كيف يمكن للسياسات العامة أن تغيّر السلوك الاجتماعى دون صدام، التحول البيئي، على سبيل المثال، لا يُفرض بالقوة، بل يُشجّع بالحوافز.

ما يلفت فى التجربة الصينية هو غياب العجلة، حيث أن الدولة لا تعمل بمنطق الدورات القصيرة، بل بمنطق الأجيال، والتخطيط طويل الأمد يمنح السياسات فرصة للنضج، ويمنح المجتمع شعورًا بالأمان والاستقرار.

الصين لا تبحث عن نتائج فورية تُرضى الرأى العام الآني، ولا تُدار بمنطق الانتخابات الدورية أو المزاج الإعلامى المتقلب، بل بمنطق الدولة التى ترى نفسها مشروعًا تاريخيًا ممتدًا.

هذا الإدراك ينعكس على طريقة التعامل مع الأزمات، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو حتى صحية، حيث يتم احتواؤها ضمن الإطار العام للاستقرار، لا تحويلها إلى صراعات مفتوحة.

فى بكين، بدا واضحًا أن مفهوم الحوكمة لا يُختزل فى الهياكل الإدارية، بل يتجاوزها إلى منظومة قيم وسلوكيات.

العلاقة بين المواطن والدولة تقوم على تبادل غير معلن، الدولة توفر الخدمات، البنية التحتية، وفرص العمل، مقابل التزام عام بالنظام واحترام القواعد.

حين تعمل الخدمات بكفاءة، وحين يشعر المواطن بأن الدولة تخطط للمستقبل لا للحظة، يصبح الالتزام نتيجة طبيعية.

هذا ما يجعل الخطة الخمسية أكثر من مجرد وثيقة اقتصادية، هى فى جوهرها أداة حوكمة، تحدد أولويات المجتمع، وتعيد توجيه الموارد، وتضبط إيقاع التنمية.

خلال المحاضرات التى حضرتها، كان يتم التأكيد على أن الخطة الخمسية ليست نهاية الطريق، بل مرحلة ضمن مسار أطول يمتد لعقود. التركيز الحالى على الابتكار، والاقتصاد الأخضر، والتكنولوجيا المتقدمة، يعكس إدراكًا بأن الصين لم تعد تستطيع الاعتماد فقط على التصنيع التقليدى أو العمالة الرخيصة.

فى هذا الإطار، يصبح حديث الرئيس شى جين بينغ عن "التحديث الصينى النمط" أكثر وضوحًا، فالصين لا تسعى إلى استنساخ النموذج الغربي، ولا ترى نفسها مضطرة لتبرير خياراتها وفق معايير خارجية.

التحديث هنا ليس قطيعة مع الماضي، بل إعادة توظيف له، القيم الكونفوشية المتعلقة بالانسجام، والاعتدال، واحترام الجماعة، تجد صداها فى السياسات المعاصرة، سواء فى التخطيط الحضرى أو فى إدارة التنوع الاجتماعي.

كلمة شى جين بينغ حول التوازن بين النمو الكمى والنوعى لم تكن خطابًا موجهًا للخارج فقط، بل رسالة داخلية تؤكد أن المرحلة المقبلة تتطلب دقة أكبر فى الإدارة. التحديات الاقتصادية، من تباطؤ الاستهلاك إلى أزمة العقارات، لا تُخفى عن النقاش العام، لكنها تُوضع ضمن سياق أوسع.

التحديات موجودة والقلق غائب

الدولة تعترف بالتحديات، لكنها لا تسمح لها بأن تتحول إلى مصدر قلق وجودي. هنا يظهر الفارق بين إدارة الأزمة وإدارة الخوف.

دور وزير الخارجية الصينى فى هذا السياق يبدو امتدادًا طبيعيًا للفلسفة الداخلية، الخطاب الدبلوماسى الصيني، كما تابعته خلال القمم والبيانات الرسمية، يقوم على فكرة الشراكة المتكافئة، ورفض الإملاءات، والدعوة إلى نظام دولى أكثر توازنًا.

هذا الخطاب ليس مجرد موقف سياسي، بل انعكاس لفهم صينى عميق لمسألة السيادة، التى لا تُختزل فى الحدود، بل تشمل الحق فى اختيار النموذج التنموي.

من المركز إلى المقاطعات

اليوميات الصينية لم تكن محصورة فى القاعات الرسمية أو المحاضرات الأكاديمية، فالشارع نفسه كان درسًا مفتوحًا. فى الأسواق، فى المترو، فى الحدائق العامة، ترى كيف يندمج الاقتصاد مع الحياة اليومية.



الهوت بوت أشهر الأكلات في الصين



الدكتورة وي تشي رونغ، أستاذة بجامعة الدراسات الدولية ببكين





كبار السن يستخدمون التطبيقات الذكية، والشباب يتعاملون مع التكنولوجيا بوصفها أمرًا بديهيًا، هذا الانتشار الواسع للتكنولوجيا لم يأتِ صدفة، بل نتيجة سياسات تعليمية واستثمارية طويلة الأمد.

فى مقاطعة شنغهاي، العاصمة الاقتصادية للصين، شعرت بقوة الإيقاع الصناعى والتجاري، الأبنية الشاهقة والموانئ الحديثة ليست مجرد رموز للتقدم، بل أدوات عملية لإدارة الاقتصاد العملاق للصين

يتحرك الابتكار جنبًا إلى جنب مع الإنتاج الضخم، والتكنولوجيا الرقمية لا تُستخدم فقط لتحسين الخدمات، بل لتوجيه السوق وإدارة الطلب.

فى مدينة ووشي، المدينة التى تركت أثرًا خاصًا فِى ذاكرتي، كان التوازن بين الطبيعة والتخطيط الحضرى مثالًا حيًا على فلسفة التنمية الصينية، البحيرات، المساحات الخضراء، والنظام العمرانى المتناسق، كلها تعكس فهمًا عميقًا بأن التحديث لا يعنى تشويه المكان.

التنمية هنا لا تُقاس فقط بعدد المصانع أو حجم الاستثمارات، بل بجودة الحياة، هذا البعد الإنسانى فى التخطيط لا يظهر كثيرًا فى الأرقام، لكنه حاضر بقوة فى التجربة.

أما فى مقاطعة جيانغشي، فقد كانت القرى شهادة حية على أن التحديث الصينى لا يترك الأطراف خلفه، التنمية الريفية ليست برنامجًا دعائيًا، بل سياسة متكاملة.

القرى التى رأيتها لم تفقد هويتها، لكنها لم تبقَ أسيرة الماضي، الطرق الحديثة، المدارس، وربط الإنتاج المحلى بالأسواق، كلها عناصر تتيح للريف أن يكون جزءًا فاعلًا من الاقتصاد الوطني.

زيارة مدينة جينغدهتشن، عاصمة الخزف، كانت تجربة ثقافية وفنية فريدة، جمعت بين التراث العريق والإبداع المعاصر، المتاحف والمعارض، والمصانع التى حافظت على طرق الإنتاج التقليدية جنبًا إلى جنب مع التكنولوجيا الحديثة، أظهرت كيف يمكن للتحديث أن يحترم الأصالة.

تجربة صناعة الخزف بنفسنا، تحت إشراف الحرفيين، أضافت بعدًا شخصيًا للتعرف على الثقافة الصينية، وأكدت أن التحديث الصينى ليس مجرد صناعة وبنية تحتية، بل يشمل الثقافة والفن والهوية.

هاينان بوابة الصين للعالم

أما فى مقاطعة هاينان، فقد كان الانفتاح الاقتصادى هو العنوان البارز للتجربة. جزيرة هاينان، التى تُعد نموذجًا للبوابة الاستراتيجية للصين نحو العالم، تعكس رؤية بكين فى التوازن بين السوق المفتوح والسيادة الوطنية. ميناء التجارة الحرة، الذى أطلق عملياته رسميًا، لم يكن مجرد تطوير اقتصادي، بل مشروع متكامل يربط بين الاقتصاد المحلى والعالمي، ويخلق فرصًا استثمارية هائلة، تطبيق القوانين الجمركية المرنة، الإعفاءات الضريبية، وتسهيلات السفر، جعل من الجزيرة نموذجًا يُحتذى به فى العولمة الاقتصادية المنظمة، ويؤكد على قدرة الصين على الانفتاح بطريقة مدروسة، لا تهدد الاستقرار الداخلى ولا تفرط فى السيادة.

المحاضرات التى حضرتها خلال البرنامج لم تكن مجرد نقل معلومات، بل محاولة لصياغة سردية متكاملة عن الصين، محاضرة تعليم اللغة العربية، على سبيل المثال، كشفت كيف ترى الصين فى اللغة أداة استراتيجية. العربية ليست مجرد تخصص أكاديمي، بل جسر للتواصل مع عالم عربى تراه بكين شريكًا أساسيًا فى المستقبل، الاستثمار فى تعليم العربية، وفى إعداد كوادر متخصصة، يعكس رؤية بعيدة المدى للعلاقات الثقافية والدبلوماسية.

محاضرة "جوهر التحديث الصيني" أعادت ربط الحاضر بالماضي، التاريخ لم يُقدّم بوصفهW سردًا متحفيًا، بل كجزء حى من الوعى السياسى المعاصر، من كونفوشيوس إلى طريق الحرير، ومن أسرة تشين إلى الإصلاح والانفتاح، كان هناك خيط واضح يربط بين المراحل. الصين لا ترى تناقضًا بين الأصالة والحداثة، بل تعتبرهما شرطين متكاملين.

الإعلام الصيني، كما عرضه الباحث أنيس وانغ، بدا أكثر تعقيدًا من الصورة الشائعة. الهيكل المؤسسي، تطور الصحافة، التحول الرقمي، كلها مؤشرات على نظام إعلامى يسعى إلى التحديث دون التفريط فى دوره السياسي.

الإعلام ليس سلطة رابعة مستقلة بالمعنى الغربي، لكنه ليس مجرد أداة دعاية أيضًا، هو جزء من منظومة الحوكمة، يوازن بين نقل المعلومات والحفاظ على الاستقرار.

كما أن التنوع الثقافى للمشاركين فى البرنامج أضاف بعدًا إنسانيًا للتجربة، وجود صحفيين من دول مختلفة، بخلفيات ثقافية وسياسية متباينة، خلق مساحة للنقاش والمقارنة. ا

الصين، فى هذا السياق، لم تكن موضوعًا للنقاش فقط، بل إطارًا جامعًا لهذا التنوع. القدرة على استضافة هذا العدد من الثقافات، المختلفة، وإدارة الحوار بينها، تعكس ثقة بالنفس، ورغبة فى الانفتاح المنضبط.

ومن بين التفاصيل اليومية التى اكتشفتها، كان التنقل فى المدن الكبرى تجربة تعكس مزيجًا بين التكنولوجيا والحياة الاجتماعية، بكين، التى تعج بالمشاة والسيارات والدراجات الكهربائية، لم تعد مجرد عاصمة سياسية، بل مختبر حى لتجربة حضرية جديدة.

الحياة اليومية والثقافة

الدراجات الكهربائية التى انتشرت فى كل شارع، والتى يستخدمها رجال ونساء وشباب، ليست مجرد وسيلة نقل، بل رمز لتحول اجتماعى واقتصادي، حيث تجمع بين الاقتصاد الشخصي، والوعى البيئي، والمرونة فى الحركة.

المشهد الصباحي، حين تتجه النساء العاملات إلى أعمالهن على هذه الدراجات، يعكس استقلالية متزايدة، وإدراكًا واسعًا بأن التحديث الصينى يشمل جميع فئات المجتمع، وأن التنمية ليست حكرًا على المدن الكبرى أو على الرجال وحدهم، بل تجربة مشتركة.

الأسواق، التى تبدو مزدحمة وعشوائية للوهلة الأولى، تخضع لنظام دقيق يحافظ على توازن الإنتاج والاستهلاك، ويرسخ ثقافة الابتكار فى حياة المواطنين اليومية.

هذا التوازن بين النمو الاقتصادى المستدام والرفاه الاجتماعى هو ما يميز تجربة الصين عن الكثير من الاقتصادات الأخرى، حيث يُنظر إلى الاقتصاد ليس فقط كأداة لجنى الأرباح، بل كأداة لتثبيت الاستقرار المجتمعى وتعزيز جودة الحياة.

أما الجانب الأكاديمي، فقد كان محورًا أساسيًا فى الرحلة. المحاضرات التى حضرتها فى بكين حول التحديث الصيني، والخطة الخمسية، والتعليم، والإعلام، أضافت بعدًا معرفيًا للتجربة.

محاضرة تعليم اللغة العربية أوضحت أن الصين تراهن على اللغة والثقافة كأدوات استراتيجية لتعميق علاقاتها بالعالم العربي، وهو ما يعكس رؤية بعيدة المدى للتبادل الثقافى والدبلوماسي.

محاضرة "جوهر التحديث الصيني" ربطت الماضى بالحاضر، وأوضحت أن القيم التقليدية مثل الانسجام والوسطية، ما زالت تشكل قاعدة لتطوير السياسات الحديثة، وأن التحديث ليس رفضًا للماضي، بل توظيفه بطريقة تحقق النمو والازدهار المستدام.

الإعلام الصيني، كما عرضت محاضرة أنيس وانغ، أظهر توازنًا بين التطوير الرقمى والوظيفة الاجتماعية والسياسية.

المؤسسات الإعلامية الكبيرة مثل وكالة شينخوا، وCCTV، ومجموعات الصحف والمجلات المتخصصة، تعمل ضمن إطار يخدم المشروع الوطني، دون أن يغيب عنها عنصر الاحترافية.

الإعلام ليس مجرد أداة دعائية، بل جزء من الحوكمة، يسعى لتحقيق الشفافية وإيصال المعلومات مع الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي.

التفاعل مع المشاركين الآخرين من مختلف دول العالم أتاح لى رؤية الصين من منظور عالمي، الحوار مع الصحفيين الأوروبيين والأمريكيين والأفارقة أظهر أن التجربة الصينية ليست مجرد نموذج محلي، بل مشروع يفتح المجال للتبادل الثقافى والمعرفى على نطاق عالمي.

الصين، بهذا النهج، تؤكد أنها لا تسعى لفرض نموذجها، لكنها تقدم بدائل واضحة وفعالة لمن يرغب فى التعلم والتعاون.

ما خرجت به من هذه التجربة هو أن الصين لا يمكن فهمها من زاوية واحدة، هى ليست نموذجًا مثاليًا، لكنها ليست الصورة الكاريكاتورية التى تُقدم أحيانًا فى الإعلام الدولي، هى دولة تبحث عن طريقها الخاص، وتدرك أن هذا الطريق لن يكون مقبولًا للجميع. لكنها لا تبدو معنية بإرضاء الخارج بقدر ما هى معنية بتحقيق توازن داخلى يسمح لها بالاستمرار.

دولة تفكر قبل أن تتحرك

ربما لا يمكن اختزال أربعة أشهر فى نص واحد، لكن ما يمكن قوله بثقة هو أن الصين، كما رأيتها، دولة تفكر كثيرًا قبل أن تتحرك، وتتحرك بثبات حين تقرر، لا تطلب من العالم أن يقلدها، لكنها تطالب بحقه فى أن يفهمها كما هي. ومن موقع الصحفى الذى عاش التجربة لا الذى راقبها من بعيد، أستطيع القول إن الصين تُقرأ أفضل حين تُعاش، وتُفهم أعمق حين تُرى من الداخل، بعيدًا عن العناوين الجاهزة والأحكام المسبقة.

ما يربط كل هذه التجارب اليومية والأكاديمية والثقافية هو فهم الصين للزمن والاستراتيجية، الدولة لا تتحرك بعشوائية، ولا تعمل على أساس النتائج الفورية فقط، بل تضع الخطط طويلة المدى، وتراقب تنفيذها بدقة، وتعدل السياسات بما يتناسب مع الواقع.

الرئيس شى جين بينغ ووزير الخارجية الصينى ليسا مجرد رموز، بل جزء من منظومة حوكمة متكاملة تحدد الإيقاع، وتربط بين السياسة الداخلية والخارجية، وتضمن أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تسير فى مسار متوازن.

الرحلة التى استمرت أربعة أشهر لم تكن مجرد زيارة مهنية، بل تجربة عميقة فى فهم الصين من الداخل، من بكين إلى شنغهاي، ومن ووشى إلى جيانغشى وهاينان وجينغدهتشن، كل لحظة كانت درسًا فى الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والحياة اليومية.

كل محاضرة، وكل سوق، وكل شارع، وكل لقاء، كان بمثابة قطعة من لوحة كبيرة تُظهر كيف يُدار بلد بحجم الصين، وكيف يوازن بين الماضى والحاضر، بين الاستقرار والابتكار، بين الاقتصاد والتنمية البشرية.

ما خرجتُ به هو إدراك أن الصين لا يمكن اختزالها فى خبر أو تقرير واحد، وأن تجربتها فى الحوكمة، والخطة الخمسية، والانفتاح الاقتصادي، والتعليم، والإعلام، والفنون، تعكس نموذجًا فريدًا للتنمية المستدامة.

الصين تقدم درسًا عمليًا فى صبر الدولة، ودقة التخطيط، وقدرة المجتمع على التكيف مع التحديث، مع الحفاظ على هويته وثقافته، وهذا ما يجعل أى زيارة لها تجربة تتجاوز حدود الجغرافيا والزمن، لتصبح فهمًا عميقًا لمسار دولة اختارت طريقها الخاص نحو المستقبل، بوعى كامل بتاريخها، وثقة كبيرة فى قدراتها، ورؤية واضحة لمكانتها فى العالم.

أميرة الشريف

قالت العرب

إشربْ على وجه الحبيبِ المقبل وعلى الفم المتبسِّم المتقبل شُرْباً يُذكِّرُ كُلَّ
حُبٍّ آخر غضٍ ويُنسي كلَّ حُبٍّ أوّل نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ فلن ترى كهوى
جديدٍ أو كموصل مقبل ما إنْ أحنُّ إلى خراب مُقفر درَسَتْ معالمُهُ كأنْ لَمْ يُؤهَلِ
مِقتي لِمَنْزِليَ الذي استَحدثته أمّا الذي وَلّى فليسَ بِمَنزلي   ديك الجن

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

تمر سوريا اليوم بمرحلة انتقالية حاسمة، تتصارع فيها سلطة الأمر الواقع التى تصف نفسها بـ« الحكومة السورية » مع الشعب السورى بمختلف مكوّناته الإثنية والدينية. لفهم هذا التصعيد الدموى ومآلات البلاد فى ظل المشهد الإقليمى الجارى تشكيله، لا بد من قراءة المرحلة الحالية بعين تحليلية، بعيدًا عن الانفعالات والشعارات، لأنها لحظة مفصلية لتحديد شكل الدولة وطبيعة الحكم ومستقبل الشراكة الوطنية.

سوريا فى المرحلة الانتقالية: بين الشراكة الوطنية والأحادية السلطوية

سلطة الأمر الواقع ليست سلطة وطنية جامعة، بل أقلية سياسية ضيقة لا تمثل إرادة السوريين

تعتمد السلطة على مرجعيات لا تؤمن بمفهوم المواطنة وتتقاطع أيديولوجيتها وظيفيًا مع مصالح القوى الخارجية





بقلم: أحمد شيخو
* كاتب وباحث سياسي

من البداية، يجب أن ندرك أن سلطة الأمر الواقع ليست سلطة وطنية جامعة، بل أقلية سياسية ضيقة لا تمثل إرادة السوريين، ولا حتى قطاع السنة من الشعب السوري. تشكلت هذه السلطة على أساس موازين قوى عسكرية مدعومة خارجيًا، وتخضع عمليًا لإدارة تركيا وتوافق إسرائيل وقوى دولية معروفة. لم تنشأ عن توافق سياسى سورى أو عملية انتخابية حقيقية، بل عن إرادة دولية لإعادة ترتيب سوريا بما يخدم مصالح محددة. وقد انعكس هذا على خضوع القرار السياسى والعسكرى للمتطلبات الخارجية، والتخلى عن حماية مناطق الجنوب والشمال الغربي، مع توجيه القوة العسكرية نحو الداخل السورى ضد المدنيين، بدل الدفاع عن وحدة البلاد وسيادتها أمام التهديدات الخارجية.

●التغيّر فى السلطة: انتقال سياسى أم استبدال قسري؟

لا يمكن الحديث عن انتقال سياسى حقيقى دون تغيير جذرى فى بنية الحكم وآلياته ومرجعيته الفكرية. ما جرى فى سوريا لم يكن انتقالا متكامل الأركان، بل استبدالا قسريًا للسلطة، دون إعادة تأسيس الشرعية أو تعريف العلاقة بين الدولة والمجتمع. سلطة الأمر الواقع الحالية تعتمد على فرض الأمر الواقع بالقوة، وتستند إلى دعم خارجى وتوازنات إقليمية، ما يحرمها من الشرعية الشعبية والقانونية.

تجلى هذا الارتباط بالخارج بشكل واضح فى التماهى مع الإدارة التركية فى الشمال والشمال الغربي، والغض عما فرضته إسرائيل فى الجنوب، والتعامل مع فقدان السيطرة على هذه المناطق كأمر واقع مقبول. وفى المقابل، توجه هذه القوة العسكرية إلى الداخل السوري، مستهدفة المدنيين، بدل حماية سيادة الدولة ووحدة أراضيها.

عقلية السلطة وأيديولوجيتها: عائق أمام بناء الدولة

الإشكالية الجوهرية لا تكمن فقط فى ممارسات سلطة أمر الواقع، بل فى العقلية والأيديولوجيا التى تحكم هذه الممارسات. تعتمد السلطة على مرجعيات سلفية جهادية، لا تؤمن بالدولة الحديثة، ولا بمفهوم المواطنة المتساوية، ولا بالتعددية السياسية والقومية والدينية. هذه العقلية ترى فى الدولة أداة للسيطرة، وفى المجتمع تهديدًا يجب إخضاعه، وهو ما يجعل الشراكة الوطنية شبه مستحيلة.

تتقاطع هذه الأيديولوجيا وظيفيًا مع مصالح القوى الخارجية، ما يجعل السلطة أكثر استعدادًا للتماهى مع متطلبات الخارج من كونها ممثلة لمصالح السوريين، وهو ما يظهر جليًا فى خرق اتفاق ١٠ آذار (مارس) مع قوات سوريا الديمقراطية، الذى يفترض أن يكون أساسًا لبناء سوريا لكل السوريين.

جيش بلا عقيدة وطنية

المؤسسات العسكرية والأمنية للسلطة تضم عددًا كبيرًا من الفصائل والمقاتلين الأجانب المتطرفين، الذين أصبحوا جزءًا من الجيش والداخلية، ما يشكل تهديدًا مباشرًا للسلم الأهلى ووحدة المجتمع. وقد أكدت الأحداث فى الساحل، والسويداء، وحلب خطورة هؤلاء العناصر، التى توجه قوتها ضد المدنيين السوريين بدل الدفاع عن الأرض والسيادة.

هذا الوضع يحوّل الجيش من مؤسسة سيادية إلى أداة قمع داخلي، ويُفرغه من أى مضمون وطني، ويخالف مبدأ أن تكون الدولة هى الحاملة الوحيدة للسلاح، وهو أحد أعمدة بناء الدولة الحديثة، لأن الجيش الحالى عبارة عن مجاميع فصائلية متعددة الولاءات وخاصة للدول الإقليمية وليس لسوريا وشعبها إضافة لوجود عناصر من داعش والقاعدة ضمن هذا الجيش وهو ما أكدته حادثة تدمر.

العنف ضد المدنيين: سياسة ممنهجة

لم تكن الانتهاكات فى حلب حادثة معزولة، بل جاءت فى سياق نهج ممنهج سبق أن تجلى فى الساحل والسويداء، حيث استخدم العنف المفرط ضد المدنيين، واستُهدف سكان بأكملهم عبر عمليات قتل جماعى وتشريد، ما يعكس عقلية سلطة أمر الواقع القائمة على الإقصاء والقمع بدل بناء الدولة والشراكة الوطنية.

التنوع السورى بين مشروع الدولة ومنطق الإقصاء

يشكل التنوع الإثنى والدينى والثقافى أحد أبرز عناصر غنى سوريا التاريخي. لكن سلطة أمر الواقع تعامل هذا التنوع بمنطق أمنى - عقائدي، يهدف إلى إخضاع المكوّنات بالقوة أو سحقها، لا الاعتراف بها ضمن إطار وطنى جامع. رفض الاعتراف بالحقوق القومية والسياسية للكرد، وتهميش مكوّنات أخرى، وغياب التمثيل الحقيقي، كلها مؤشرات على أن السلطة لا تسعى لبناء دولة، بل لإدارة مناطق وسكان وفق توازنات الخارج.

الشرعية الغائبة وسؤال الدولة

الشرعية لا تُستمد من القوة أو الدعم الخارجى أو الخطاب الدينى الأحادي، بل من إرادة الناس والقانون والمؤسسات التمثيلية المستقلة. وفى ظل غياب الانتخابات الحرة، واستمرار القمع، وخرق الاتفاقات، والخضوع للإرادات الخارجية، تعيش سلطة أمر الواقع أزمة شرعية عميقة. سلطة بلا سيادة وطنية وبلا شرعية شعبية لا يمكنها بناء دولة، بل تؤسس لنظام تابع يعيد إنتاج الاستبداد ويحوّل البلاد إلى ساحة صراع مفتوحة.

استحقاقات المرحلة الانتقالية وطرق الحل

لكى تتحوّل المرحلة الانتقالية إلى فرصة حقيقية لبناء دولة وطنية ديمقراطية، يجب التركيز على استحقاقات عملية متكاملة تمثل أيضًا طرق الحل لتحقيق الاستقرار وسيادة الدولة. ويشمل ذلك تنفيذ اتفاق ١٠ آذار بالكامل كإطار لبناء سوريا لكل السوريين، مع تشكيل جيش وطنى موحّد يحمى الدولة والشعب ويستبعد المقاتلين الأجانب والمتطرفين، وإخراج جميع العناصر المتطرفة والإرهابية من الجيش والأمن لضمان أن تصبح المؤسسات العسكرية أداة حماية للوطن لا أداة قمع داخلي.

كما يتطلب الأمر عقد مؤتمر وطنى شامل لجميع المكوّنات لصياغة عقد اجتماعى جديد يعبر عن إرادة السوريين ويحمى الحقوق السياسية والقومية لكل المكونات، ويضع أسس الشراكة الوطنية الفعلية. ويجب اعتماد نظام اللامركزية لتعزيز المشاركة المحلية وتقليل هيمنة الأقلوية السياسية السلفية على القرار، مع إعادة تأسيس الشرعية الوطنية عبر انتخابات حرة ونزيهة تمثل جميع السوريين، وتؤكد سيادة الشعب على الدولة.

إلى جانب ذلك، يتوجب استعادة السيادة الوطنية الكاملة ورفض أن تتحوّل سوريا إلى مناطق نفوذ خارجية، بالإضافة إلى تحقيق العدالة الانتقالية ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات بحق المدنيين، ما يعزز الثقة بين الشعب والدولة ويؤسس لمؤسسات مستقرة قائمة على القانون. إن هذه الاستحقاقات وطرق الحل تمثل خارطة طريق متكاملة لتحويل المرحلة الانتقالية إلى مسار بناء الدولة الوطنية، يجمع بين الاتفاقات السياسية، الجيش الوطني، اللا مركزية، العقد الاجتماعى الجديد، الانتخابات الحرة، والشراكة الوطنية.

خاتمة

ما تعيشه سوريا اليوم ليس مجرد أزمة انتقالية، بل صراع عميق على طبيعة الدولة ومعنى السيادة. لا يمكن بناء دولة وطنية ديمقراطية بعقلية سلطة أمر الواقع المرتهنة للخارج، التى تمثل أقلوية سياسية ضيقة ولا تعكس إرادة السوريين، ولا حتى قطاع السنة من الشعب السوري، وتخضع عمليًا لتركيا وإسرائيل وقوى دولية معروفة. هذه السلطة تتخلى عن الأرض والسيادة وتوجّه سلاحها ضد شعبها، ما يحوّل الجيش والأمن من أدوات حماية للدولة إلى أدوات قمع داخلى ويزيد التوتر والانقسام داخل المجتمع السوري.

تحقيق انتقال حقيقى ومستقر يتطلب أن تصبح المرحلة الحالية مسارًا وطنيًا مستقلا يرتكز على إرادة السوريين فى بناء دولتهم على أساس الشراكة والعدالة والمواطنة المتساوية، مع احترام التنوع الثقافى والدينى والإثني، وضمان مؤسسات مستقرة وقانونية. إذا لم يتم ذلك، فإن المرحلة الانتقالية ستظل مجرد إعادة إنتاج للاستبداد والتبعية، بنفس النتائج الكارثية التى شهدتها البلاد فى الماضي، وسيستمر العنف والانقسام، ويظل حلم بناء دولة وطنية جامعة لكل السوريين بعيد المنال.

المهمة المستحيلة.. سوريا وإعادة إنتاج نظام الأسد برداء جديد

فى ظل تركيبة البلاد الديموغرافية يصعب تصور نموذج للحكم غير نموذج الدولة الديمقراطية التي تمنح حقوقًا متساوية





ما يجرى فى سوريا له تداعيات خطيرة على المشرق العربى ويستدعى تحركا مصريًا وعربيًا ضاغطا وتوفير مظلة تحول دون التفكك

قد يتحقق على يد الشرع حلم راود قادة إسرائيل فى أن تحاط دولتهم بدويلات وإمارات طائفية متنازعة ومتحاربة

سوريا الكبرى اقتطعت مساحات كبيرة منها ألحق بعضها بدول أخرى وأقيم على البعض الآخر دول مستقلة

لم يكن أحمد الشرع، رئيس سوريا الانتقالي، فى حاجة للتصريحات التى أدلى به فى لقائه مع وفد رجال الأعمال المصريين ليؤكد أن سياساته لا تستهدف شيئًا سوى إعادة انتاج نظام البعث فى عهد آل الأسد، ولكن فى ثوب أيديولوجى جديد، سلفى جهادى هذه المرة، وبالاعتماد على القوة المسلحة للجيش الفصائلى الذى استبدلت فيه القاعدة الاجتماعية للنظام السابق بقوات مسلحة أجنبية من فصائل الجهاديين الأجانب الذى شاركوا فى الإطاحة بنظام الأسد، وبالاعتماد على دعم قوى خارجية إقليمية، لاسيما تركيا وقطر، وأخرى دولية على رأسها الولايات المتحدة ودول أوروبية، والتى تمد له يد العون والمساندة. لكن سعيه للاستئثار بالسلطة وإحكام قبضته على مقاليد الحكم فى سوريا قد يكلفه، هذه المرة، سوريا بحدودها المعروفة منذ أن أعلن المؤتمر السورى العام استقلالها فى الثامن من مارس عام ١٩٢٠، وبعد الحصول على استقلالها العام عن فرنسا رسميًا فى عام ١٩٤٦. والكيانات الخمس التى اتحدت ضمن الجمهورية السورية لتشكل دولة مركزية، تضم داخلها مكونات قومية وعرقية وثقافية ودينية متنوعة، مما يجعل البلاد أشبه بلوحة فسيفساء متباينة الألوان والتكوينات.

قد يتحقق على يد الرجل وحكومته الانتقالية، ونتيجة سياساته، حلمًا راود قادة إسرائيل منذ نشأتها، وهو أن تكون دولتهم محاطة بدويلات وإمارات طائفية متنازعة ومتحاربة مما يوفر لها هامش حركة يمكنها من تحقيق أهدافها وإحكام سيطرتها على المشرق العربي، ومنطقة الشرق الأوسط من ورائه. ونتيجة لسياسات الشرع لفرض سيطرته قد تضيع سوريا الموحدة والتى حلمت نخبتها، منذ الاستقلال، وطوال فترات حكم البعث، بالوحدة العربية. غير أن سياسات حزب البعث السورى وتحالفاته الإقليمية، وأطماعه فى لبنان وفلسطين والأردن، التى يرى أنها جميعا تشكل إقليم سوريا الكبرى، علاوة على خلافه المرير مع نظام البعث العراقى بزعامة صدام حسين، كانت تمضى فى اتجاه مغاير تمامًا ضد الوحدة وضد القضايا العربية الكبرى، وفى مقدمتها القضية الفلسطينية.

قد نكون فى سوريا أمام صيغة أخرى تبقى على ملامح نظام الأسد، باعتباره الأكثر استقرارًا فى تاريخ سوريا من حيث الفترة التى أمضاها السلطة دون منازع، عنوانه هذه المرة هو استمرار "الأسدية بدون الأسد"، كصيغة بديلة لاستحقاق الديمقراطية المؤجل إلى أجل غير مسمى، لاسيما أن ما يعرف فى تاريخ سوريا بالفترة الليبرالية، اتسمت بالانقلابات العسكرية المتكررة الذى حرمت سوريا ما بعد الاستقلال من الاستقرار السياسى المنشود، الأمر الذى أفقد قطاعات واسعة من السوريين إيمانهم بالديمقراطية كنظام للحكم، وهو اقتناع يعززه النظام الاجتماعى المتمركز حول الطائفة والعرق والعشيرة، والذى يجعل بناء توافق عام فيما بين السوريين حول أسس العقد الاجتماعى والسياسى لبناء دولة وطنية أمرا بعيد المنال وخارج أى تصور عملى فى الأمد المنظور. لذلك تفضل الطبقات الوسطى فى المدن نظاماً شبيها بنظام الأسد يحقق لهم الأمن على حساب الحرية. فى ظل هذه الصيغة يكون إغراء التأسيس لاستبداد جديد أقوى من أشواق الحالمين بالحرية والديمقراطية.

معضلة بناء الدولة الوطنية

هناك عاملان رئيسيان يعرقلان مشروع بناء دولة وطنية فى الحدود الحالية لسوريا. العامل الأول جغرافى بحدود هذه الدولة. فسوريا كانت تشمل حتى القرن العشرين مساحة أوسع مما هى عليه اليوم، وهذه المساحة هى الأساس لما يعرف بمشروع "سوريا الجغرافية" أو "سوريا الكبرى". ويزيد هذه المشكلة تعقيدًا أن ما يعرف بسوريا الطبيعية أو الجغرافية، والتى تشمل بلاد الشام أو الهلال الخصيب كانت طوال معظم الفترات التاريخية جزءًا من دولة أكبر أو إمبراطورية. واقتطعت مساحات كبيرة من هذه المنطقة، ألحق بعضها بدول أخرى، وأقيم على البعض الآخر دول مستقلة فى سياق السياسات الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا وتركيا العثمانية. ففى عام ١٩٢٠، نصّت معاهدة سيفر بين تركيا وفرنسا على اعتبار أراضى شمال سكة حديد إسطنبول - بغداد، تابعة لتركيا، وهى منطقة مؤلفة من أكراد وسريان وأرمن وعرب، وذات صلة اجتماعية واقتصادية بحلب. وفى سبتمبر ١٩٢٠، فصلت أربعة أقضية، أهمها بعلبك والبقاع عن دمشق، وألحقت بمتصرفية جبل لبنان التى كانت تتمتع بحكم ذاتى منذ عام ١٨٦٠، لتشكيل ما بات يعرف بدولة لبنان الكبير. وفى العام ذاته، تم فصل ما كان يعرف باسم سوريا الجنوبية، تحقيقًا لاتفاقية سايكس بيكو، ومنح لبريطانيا التى أقامت فيه إمارة شرق الأردن، إرضاءً للهاشميين بعد أن خسر الملك فيصل حكم دمشق. وفى عام ١٩٣٧ فصل الانتداب الفرنسى لواء إسكندرون عن سوريا ومنحه حكمًا مستقلا، وضمّته تركيا إليها فى عام ١٩٣٩، بحجة كون سكانه من الأتراك، رغم أنّ الأتراك نسبة لا تتجاوز ٤٠٪ من سكانه، وهو اللواء الذى اعتبرته الحكومات السورية المتعاقبة أرضًا سورية محتلة. وبعد الهزيمة حرب ١٩٦٧ احتلت إسرائيل الجولان.

فى المقابل، كانت هناك محاولات عديدة للتوحيد أبرزها مشروع الملك عبد الله الأول عن سوريا الكبرى عام ١٩٤٧، ومشروع حزب الشعب للوحدة مع العراق عام ١٩٥٠، وهذه المحاولات فضلًا عن أيديولوجية حزب البعث الرامية إلى تحقيق وحدة مع جميع الدول العربية، وأيديولوجية فصائل الإسلام السياسي، لاسيما جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير، وما تفرع عنهما من فصائل، الرامية إلى استعادة الخلافة الإسلامية، تجعل أراضى الجمهورية السورية الراهنة أقل بكثير من طموحات السوريين لما يمكن أن يشكل الدولة السورية.

إلى جانب هذا العامل الجغرافى والسياسي، هناك عامل آخر ديموجرافى وثقافي، يطرح تساؤلات فيما يخص تعريف الأمة السورية، وصياغة وحدة إقليمية تمنح حقوقا متساوية للمقيمين فى الدولة السورية. ويجسد الأكراد فى منطقة شمال شرق سوريا على الحدود السورية مع العراق وتركيا، والذين يعتبرون جزءًا من الأمة الكردية فى البلدين، لم يكن معترف بوجودهم فى سوريا حتى مطلع الألفية وكانوا محرومين من أبسط الحقوق المدنية كمواطنين سوريين، وخضعوا مثل السوريين الآخرين لحكم الأسد البعثى الاستبدادى منذ عام ١٩٧٠، الذى اعتمد فى سيطرته على البلاد وقمع السنة الذين يشكلون نحو ٦٠ بالمئة من سكان سوريا على دعم الطائفة العلوية النصيرية، وهم أقلية، وعلى دعم أقليات عرقية ومذهبية أخرى أقل عدداً وتأثيراً. فيما ظل الدروز الذين يسكنون مرتفعات الجولان ومحافظة السويداء فى جنوب وجنوب غرب سوريا، ولديهم روابط قوية مع الدروز فى لبنان وفى فلسطين المحتلة، معزولين نسبيًا عن بقية مكونات المجتمع السورية. فى ظل وضع كهذا، يصعب تصور نموذج للحكم وبناء الدولة غير نموذج الدولة الديمقراطية التى تمنح حقوقًا متساوية للمواطنين والتى تسمح للتنافس الحزبى على أسس سياسية وتشكيل أحزاب متعددة الأعراق، ذلك أن إصرار أى جماعة على الاستئثار بالسلطة وتهميش الجماعات الأخرى، هو صيغة مؤقتة ولا تؤسس لمستقبل مستقر، وبدون ذلك سيكون أى حديث عن بلورة هوية وطنية سورية على أساس المواطنة شعاراً بلا مضمون.

السعى وراء سراب الهيمنة

فى ظل وضع كهذا، فإن حكومة الشرع الانتقالية التى تسعى إلى السيطرة على الدولة السورية، وغيرها من القوى والفصائل الإسلامية مثل داعش، أو أى فصيل آخر غير إسلامي، استنادا إلى قوة السلاح والدعم الخارجي، إنما تسعى وراء سراب وتتخرط فى مهمة باتت شبه مستحيلة فى ظل التحولات التى جرت داخل سوريا وأيضًا فى ظل التحولات الإقليمية. لقد وضع نظام الأسد من أجل استمراره فى السلطة سوريا فى قلب معادلات إقليمية ودولية أدت إلى تفكيك المجتمع السورى وتشتت ولاءاته بين ولاءات جهوية داخلية، وبين ولاءات خارجية وإقليمية جرى تفكيكها فى سياق حرب غزة وسعى إسرائيل إلى إعادة تشكيل المنطقة بما يحقق لها سيطرة أمنية على الأرض ويمنع تشكل جبهات معادية على حدودها، على غرار ما حدث إبان حكم الأسد أو مع جماعة حزب الله فى لبنان، حيث تشكلت فصائل مسلحة مدعومة من إيران فيما عرف بمحور المقاومة. وتوسع إسرائيل تهديداتها لتشمل العراق واليمن وإيران ذاتها، وتحظى فى ذلك بدعم أمريكى غير محدود.

وتحظى حكومة الشرع بدعم أمريكي، فيما قامت إسرائيل بتدمير القدرات العسكرية السورية بعد انسحاب الجيش الوطنى السورى وتفككه نتيجة للحرب الأهلية وسياسات بشار الأسد، قبل الإجهاز عليه فى الأسابيع الأخيرة من عام ٢٠٢٤ على يد هيئة تحرير الشام المؤلفة من فصائل جهادية مسلحة متعددة الجنسيات. ووسعت إسرائيل احتلالها للجنوب السورى وراء حدود اتفاقية فك الاشتباك فى عام ١٩٧٤، فأعادت احتلال القنيطرة لتفرض سيطرة كاملة على مرتفعات الجولان الذى أعلنت السيادة عليه فى مطلع الثمانينات، وتفرض سيطرة أمنية فى مناطق فى السويداء وفى ريف دمشق. الملاحظ أن إسرائيل فى تفاوضها مع النظام الجديد فى سوريا تركز على الترتيبات الأمنية ولا تظهر أى نية للانسحاب من المناطق التى احتلتها. كذلك تستغل إسرائيل ورقة الأقليات للضغط على الدولة السورية. وعلى الرغم من هذا الوضع المأزوم، لا تظهر حكومة الشرع أى نية للتحرك من أجل بناء نظام وطنى يعبر عن مكونات المجتمع السورى بما يسمح بتشكيل حكومة وطنية تعمل على توحيد السوريين ضمن صيغة ديمقراطية تمنح المواطنين حقوقًا متساوية وتفتح لبناء دولة وطنية وجيش وطني. وعلى ما يبدو أنها لا تملك قرارا لتحقيق هذه المهمة، وإنما الأمر بيد تركيا التى تتقدم لاقتسام ما تبقى من سوريا وتسعى لإحكام سيطرتها المباشرة على شمال البلاد لتطويق قوات سوريا الديمقراطية ومواجهة ما تتصور أنه خطر كردي. ولا يمكن فهم الاشتباكات التى بدأتها قوات الشرع فى حلب بعيدا عن هذا السياق ولتعويض فشل فى السويداء ومع الدروز، خصوصًا فى ظل العلاقات المتنامية بينهم وبين الدروز فى إسرائيل وبسبب التدخل الإسرائيلى المباشر.

إن ما يجرى فى سوريا له تداعيات خطيرة على المشرق العربى وعلى مجمل البلدان العربية، ويستدعى تحركا مصريًا وعربيًا ضاغطا وتوفير مظلة عربية تحول دون تفكك الدولة السورية، وما قد يترتب على هذا التفكك من زعزعة الاستقرار الوطنى والإقليمي. فى وضع كهذا، لا تكفى عبارات الشرع التى سعى من خلال لدغدغة المشاعر باستدعاء الخبرة الناصرية، فمصر التى دخلت مع سوريا فى عام ١٩٥٨، تعلمت من الدرس القاسى حين صدقت الشعارات لتصحو على حقيقة استغلالها لتصفية حسابات سياسية داخلية فى سوريا، والأرجح أنها لن تكرر الخطأ، ولابد هناك من إظهار أن الدعم المصرى والعربى لسوريا وليس لحكومة الشرع الانتقالية وأن تترجم هذه الدعم بربطه بخطوات تتخذ لبناء مستقبل ديمقراطى ووطنى لسوريا.



بقلم: أشرف راضي

السعودية تسعى لإقصاء الإمارات من القرن الأفريقى وسواحل البحر الأحمر

أدّت المنافسة المحتدمة منذ زمن طويل بين السعودية والإمارات، والتى انفجرت خلال الأسابيع الأخيرة فى جنوب اليمن، إلى تحوّل دراماتيكى فى ميزان القوى الإقليمي، وتهدّد بإرباك دول هشّة أخرى تمارس فيها الدولتان نفوذًا واسعًا.

فالسعودية، التى تدعم الحكومة اليمنية المعترف بها دوليًا، تدخّلت الشهر الماضى عندما اجتاح انفصاليون مدعومون من الإمارات مناطق واسعة وسيطروا على أراض استراتيجية، إذ شنّت ضربات على المقاتلين المتمرّدين واستهدفت شحنة إماراتية قالت الرياض إنها كانت تحتوى على أسلحة مخصّصة للجماعة، وعلى إثر ذلك، سارعت الإمارات إلى سحب قواتها، كما قام المجلس القيادى للانفصاليين بحلّ نفسه على الفور.

غير أنّ الشرخ بين الملكيتين الغنيتين بالنفط بدأ بالفعل يمتدّ إلى ما وراء اليمن، إذ تعمل السعودية، القلقة مما تعتبره تحركات عسكرية وسياسات خارجية هجومية من جانب جارها الأصغر حجمًا بكثير، على مواجهة شبكة النفوذ العميقة التى أمضت أبوظبى سنوات فى بنائها فى القرن الإفريقى وحول البحر الأحمر.

وقال دبلوماسى سعودي، طلب عدم الكشف عن هويته بسبب حساسية الموضوع، إن توسّع نفوذ الإمارات فى هذه المنطقة "يتعارض مع رؤية السعودية لهذه الأقاليم باعتبارها جزءًا من حزامها الأمنى الاستراتيجي"، مضيفًا أن الرياض عازمة على إيصال «خطوطها الحمراء» بوضوح.

وأثار التحوّل المفاجئ فى موقف الرياض نحو نهج أكثر حزمًا محاولات من دول المنطقة للتعامل مع هذا الشرخ، فقد عمِلت السعودية والإمارات إلى حدّ كبير جنبًا إلى جنب على مدى سنوات، حيث دعمتا أنظمة فى مواجهة انتفاضات الربيع العربي، وتعاونتا لمواجهة الحوثيين المدعومين من إيران فى اليمن، غير أنّ السعودية، فى الأيام الأخيرة، عزّزت تحالفات بديلة بهدف كبح نفوذ منافستها، وتجرى محادثات مع كلّ من مصر والصومال لتوسيع التعاون الأمنى بين الدول الثلاث، بحسب مسؤول أمنى صومالى رفيع المستوى.

كما أعلنت الحكومة الفيدرالية الصومالية أنها ستُلغى اتفاقياتها الدفاعية مع الإمارات، التى تدير موانئ تجارية وقواعد عسكرية فى ما لا يقل عن ثلاث مناطق، أرض الصومال، وبونتلاند، وجوبالاند، حيث يكاد نفوذ حكومة مقديشو وحضورها يكونان محدودين.

وفى الوقت نفسه، تُظهر بيانات تتبّع الرحلات الجوية أن طائرات قادمة من الإمارات، يقول محللون إنها على الأرجح تنقل إمدادات إلى وكلاء أبوظبى فى أماكن مثل تشاد وليبيا والسودان، قد أعيد توجيهها مؤخرًا لتجنّب المجال الجوى المصرى والسعودى والصومالي.

ويقول ليام كار، قائد فريق إفريقيا فى مشروع "التهديدات الحرجة" التابع لمعهد "أمريكان إنتربرايز"، تعليقًا على موقفى الإمارات والسعودية: "إن هذا الانقلاب فى المواقف هائل"

ويقول ليام كار إنّه فى أواخر ديسمبر بدا وكأن الإمارات وحلفاءها فى اليمن يتجهون إلى السيطرة على جانبى مضيق باب المندب الشمالى والجنوبي، وهو ممر مائى ضيّق لكنه بالغ الأهمية يربط البحر الأحمر بخليج عدن، إضافة إلى خليج عدن نفسه، غير أنّ تغيّر موازين القوى لصالح السعودية جعل "الأمر يبدو الآن وكأن العكس قد يكون صحيحًا"، على حدّ تعبير كار.

ولم ترد وزارة الخارجية الإماراتية مباشرة على الأسئلة المتعلقة بالتوترات مع السعودية حين التواصل معها، كما لم تردّ وزارة الإعلام فى الرياض ومتحدث باسم السفارة السعودية فى واشنطن على طلبات التعليق، وامتنع مسؤولون كبار آخرون عن التعليق أو لم يستجيبوا.

وصوّر محللون ومعلّقون من الإمارات، تحركات السعودية الأخيرة بوصفها نابعة من "عقدة الأخ الأكبر"، أى شعور بأنهم جرى تجاوزهم أو تركهم خلف الركب، بينما اضطلع جارهم الأصغر مساحة والأقل عددًا للسكان بدور مبالغ فيه على المستويين الإقليمى والدولي.

فقد تجاوزت الإمارات الصين عام ٢٠٢٢، على سبيل المثال، لتصبح أكبر مستثمر فى إفريقيا، بحسب بيانات «إف دى آى ماركتس»، وهى جهة عالمية لمراقبة الاستثمارات مملوكة لصحيفة «فايننشال تايمز»، وشملت هذه الاستثمارات تشغيل موانئ تجارية فى الصومال وجيبوتي، إلى جانب مشاريع زراعية فى إثيوبيا وكينيا وأوغندا، هدفت إلى تأمين واردات الإمارات الغذائية.

ويقول عبد الله عبد الخالق، وهو أكاديمى إماراتى بارز: "يرى السعوديون فى الإمارات تحديًا لقيادتهم فى الخليج، وربما التحدى الوحيد القائم حاليًا، وتحديًا حقيقيًا عندما يتعلق الأمر بالإقليم ككل".

قال إن السعودية ربما شعرت بأن "شيئًا ما لا بدّ من فعله، وربما يكون المكان المناسب للبدء هو حضرموت"، فى إشارة إلى الإقليم الغنى بالنفط فى اليمن، الذى شكّل بؤرة للاشتباكات الأخيرة.



«شرخ كامل»

ليست الخلافات بين السعودية والإمارات حول قضايا تمتد من الأراضى إلى إنتاج النفط أمرًا جديدًا، إذ ظهرت إلى السطح بصورة دورية منذ تأسيس الإمارات من محمية بريطانية عام ١٩٧١.

لكن فى عام ٢٠١٤، عندما برز ولى العهد محمد بن سلمان لاعبًا أساسيًا فى السياسة الملكية السعودية، "نظر إليه رئيس دولة الإمارات محمد بن زايد آل نهيان بوصفه نسخة أصغر سنًا من نفسه"، بحسب كريستيان كوتس أولريخسن، الزميل فى معهد بيكر لدراسات الشرق الأوسط، وخلال السنوات اللاحقة، توطدت العلاقة بين الزعيمين، و "بدا أنهما يعيدان تشكيل الخليج" على حد تعبير أولريخسن.

وكان التحالف لدعم المقاتلين الذين يواجهون الحوثيين، الذين سيطروا على العاصمة اليمنية صنعاء عام ٢٠١٤ ويحكمون اليوم مساحات واسعة من شمال غرب البلاد، ربما أبرز مؤشر على الشراكة الناشئة بين البلدين، غير أنّ تباين المصالح والاستراتيجيات والأهداف سرعان ما أوجد شقوقًا جديدة بين الطرفين، فقد سعت السعودية، من خلال دعمها للحكومة المعترف بها دوليًا، إلى الحفاظ على وحدة الأراضى اليمنية، فيما ركّزت الإمارات فى المقابل، والتى تنظر إلى الإسلام السياسى بوصفه تهديدًا وجوديًا، على مواجهة الفصائل الإسلامية فى اليمن، بما فى ذلك تلك الموجودة داخل التحالف المناهض للحوثيين.ونتيجة لذلك، انتهت الإمارات إلى تمويل وتسليح وتوحيد قوى انفصالية فى جنوب اليمن، وأسهمت عام ٢٠١٧ فى رعاية تأسيس «المجلس الانتقالى الجنوبي» برئاسة عيدروس الزبيدي، وهو انفصالى مخضرم وحاكم سابق لمحافظة عدن.

بدأت الإمارات توسيع نطاق حضورها ومع مقاتليها الوكلاء، فأنشأت مطارات ومواقع متقدمة وبنى تحتية أخرى فى مدن الموانئ أو فى جزر قبالة الساحل، أحيانًا من دون موافقة الحكومة المدعومة من السعودية، ما منحها أفضلية استراتيجية كبيرة على طول بعض أهم الممرات البحرية فى العالم.

وهذا نمط من الأعمال كرّرته الإمارات فى دول مثل ليبيا والسودان، حيث تحالفت مع فاعلّين من غير الدول، ما أتاح لها ترسيخ موطئ قدم فى مجالات الاستثمار والموارد والأمن والنفوذ السياسي، وهو ما وضعها فى تعارض مع النهج السعودى الأكثر تحفظًا والقائم على دعم الحكومات التقليدية.

وقال دبلوماسى سعودى إن «النهج الإماراتي، من وجهة النظر السعودية، يُنشئ مراكز نفوذ غير دولية، يمكن أن تُضعف دول البحر الأحمر وتُسهم فى تفككها».

ووصف أندرياس كريغ، الأستاذ المشارك فى كلية دراسات الأمن بجامعة كينغز كوليدج لندن، الشبكة الإقليمية للإمارات بأنها "محور للانفصاليين"، وأضاف: "إن أبوظبى مرتاحة للعمل دون عتبة الدبلوماسية الرسمية، إذ تبنى نفوذها عبر شبكة من الكيانات التجارية، وإتاحة الوصول اللوجستي، والمساعدات الأمنية، والوسطاء، والشركاء المحليين المسلحين".

لكن التقدّم السريع للمجلس الانتقالى الجنوبى فى محافظتى المهرة وحضرموت ووضع قواته على طول الحدود اليمنية الممتدة مع السعودية، وقد دفع هذا التوسع الرياض إلى التحرك لوقف مكاسب المجلس والبدء فى معالجة دور الإمارات بصورة علنية، رغم أن مسؤولا إماراتيًا وصف الاتهام بأن أبوظبى وجّهت هذا التقدّم بأنه "باطل تمامًا".

وأسفر ذلك عن "شرخ كامل" فى العلاقة السعودية – الإماراتية داخل اليمن، بحسب خالد اليماني، وزير الخارجية اليمنى الأسبق الذى قال: "كان الانسحاب الإماراتى صادمًا للغاية، فقد اختفوا تمامًا خلال يومين فقط"، وأضاف أنه فى أعقاب الانسحاب مباشرة بدا أن الإمارات امتنعت عن أى انخراط دبلوماسي، حتى مع استدعاء بعض قادة المجلس الانتقالى إلى الرياض واتهام أعضائه للسعودية باحتجازهم بمعزل عن العالم، ويبدو، على حد قوله، أن الإمارات توجّه رسالة إلى السعودية مفادها: "باتت المشكلة مشكلتكم، تعاملوا معها".

كما اتهمت الرياض الإمارات بتهريب عيدروس الزبيدي، الذى تتهمه الحكومة بالخيانة، خارج اليمن إلى أرض الصومال عبر مقديشو فى ٧ يناير، وقال كار إن التحركات المزعومة للزبيدى عبر الأراضى الصومالية تندرج ضمن نمط أوسع ترى فيه حكومة مقديشو انتهاكات إماراتية لسيادة البلاد.

وتحافظ أبوظبى على ميناء للمياه العميقة ومدرجٍ جوى مرافق له فى بربرة بأرض الصومال، الإقليم المنفصل فى شمال الصومال، واستثمرت الإمارات فى ميناء وبنت قاعدة عسكرية فى بوصاصو فى بونتلاند شبه المستقلة، على الساحل الجنوبى لخليج عدن، ويعدّ موقع بوصاصو مركزًا لوجستيًا رئيسيًا للإمارات، ويضم حظيرة لطائرات مسيّرة تُستخدم فى ضربات إماراتية ضد مقاتلى تنظيم الدولة فى بونتلاند.

وتشير بيانات الطيران إلى أن بوصاصو كانت تستقبل سابقًا طائرات شحن عدة من طراز «إليوشن-٧٦» متجهة من وإلى الإمارات، إلا أن هذه الرحلات توقفت خلال الأسابيع الأخيرة.

وقال جاستن لينش، المدير التنفيذى للأبحاث فى شركة كونفلكت انسايتس جروب للتحليل والدراسات "نعلم أن بعض الطائرات التى تهبط فى بوصاصو توفّر دعمًا وإمدادات لقوات الدعم السريع فى السودان"، فى إشارة إلى قوات الدعم السريع، وهى جماعة شبه عسكرية تقاتل الجيش السوداني، وترتبط الإمارات بعلاقة طويلة الأمد مع قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو، الذى أرسل آلاف المرتزقة للقتال إلى جانب الطرف المدعوم إماراتيًا فى اليمن، كما سبق للإمارات أن استثمرت فى تعدين الذهب فى السودان وفى مشاريع زراعية كبرى، وأبرمت صفقة بقيمة ستة مليارات دولار لتطوير ميناء فى السودان قبل اندلاع الحرب الأهلية.

وقد نفت الإمارات تسليح قوات الدعم السريع، رغم وجود أدلة توثّق العثور على أسلحة اشترتها الإمارات ضمن مخزونات استولت عليها القوات المسلحة السودانية من هذه القوات.

وقال الدبلوماسى إن السعودية مستعدة لاستخدام "جميع الوسائل المتاحة"، للحد من نفوذ قوات الدعم السريع.

ويرى بعض المراقبين ان هناك فوائد فى وضوح حدود كل طرف ونوعية التدخل الذى يمكن تحمّله داخل مناطق يعتبرها ضمن مجال نفوذه مكاسب محتملة.

ويقول بدر السيف، الأستاذ المساعد فى جامعة الكويت والباحث المشارك فى تشاتام هاوس: "إن توضيح الخطوط الحمراء من جميع الأطراف أمر مهم، وأرى وضوحًا أكبر فى الغايات على المدى الطويل".

واشنطن بوست

العالم يبدأ التكيف مع الولايات المتحدة التي لا يمكن الاعتماد عليها



لفترة طويلة، صُورت أوروبا باعتبارها منقسمة جدًا على نفسها بحيث لا تستطيع التحرك، وخاملة جدًا بحيث لا تستطيع اتخاذ قرارات، ومرتاحة جدًا بحيث لا تستطيع التفكير استراتيجيًا، لكن بالرغم من كل ما تقدم، تصرفت أوروبا العام الماضي بدهاء يناقش هذه الصورة النمطية، فلم تندفع الى الرد بعنف عند مواجهة الولايات المتحدة كما لم تستسلم ايضًا بل تكيفت مع الوضع.

عندما عاد الرئيس دونالد ترامب إلى منصبه وفرض أعلى رسوم جمركية على الولايات المتحدة منذ قرن تقريبًا، توقع الكثيرون أن تنتقم أوروبا، فحرب تجارية عبر الأطلسي كانت ستزيد التضخم، وتعطل سلاسل الإمداد، وتضعف النمو الهش بالفعل، إلا أن أوروبا قاومت هذا الإغراء، وامتصت الضغط، وتجنبت التصعيد، وكسبت الوقت، وهذا الانضباط منع حدوث دوامة عالمية هبوطية.

مع حلول الأسبوع الماضي، تحركت أوروبا أخيرًا، فبعد ٢٥ عامًا من المفاوضات المتعثرة، وافقت دول الاتحاد الأوروبي على اتفاق تجاري شامل مع البرازيل والأرجنتين وباراغواي وأوروغواي، وإذا ما تم التصديق عليه، فسيخلق أحد أكبر مناطق التجارة الحرة في العالم من حيث السكان حيث يشمل أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة.

التوجه نحو أمريكا اللاتينية ليس خطوة منفردة، فقد أشار الاتحاد الأوربي وبكين في الأسابيع الأخيرة الى انهما حلا مجموعة جديدة من المماحكات التجارية التي هددت بالتحول إلى مواجهة أوسع بشأن السيارات الكهربائية والدعم الحكومي والوصول إلى الأسواق. لا تزال أوروبا متحفظة بشأن السياسات الصناعية والنظام السياسي الصيني، لكنها باتت ترى الصين الآن شريكا ضروريًا.

وفي الوقت نفسه، سرّعت أوروبا من تواصلها مع جنوب شرق آسيا، فالاتحاد الأوروبي يمتلك الآن اتفاقيات تجارية سارية مع سنغافورة وفيتنام، وأنهى المفاوضات مع إندونيسيا، ويواصل المباحثات في جميع أنحاء المنطقة، التي تعد بالفعل ثالث أكبر شريك تجاري للاتحاد خارج أوروبا.

ويبدو أن غريزة التنويع هذه تتوسع إلى ما هو أبعد من أوروبا. خذ كندا على سبيل المثال، فعلى مدى ثلاثة عقود، راهنت أوتاوا استراتيجيًا على مستقبلها في تكامل أعمق وأعمق مع الولايات المتحدة، اقتصاديًا ودبلوماسيًا وسياسيًا، وتدفقت أكثر من ٧٥٪ من صادرات كندا الى الجنوب أي الى الولايات المتحدة عام ٢٠٢٤، وكانت هذه واحدة من أكثر قصص التكامل نجاحًا في حقبة ما بعد الحرب الباردة.

لكن هذا الثقة قد تحطمت الآن، فتعريفات ترامب وتهديداته بإعادة فتح الاتفاقيات التجارية وتصريحاته الغريبة حول ضم كندا، أجبرت البلاد على إعادة التفكير، وقد استجاب رئيس الوزراء الكندي الجديد، مارك كارني، بالسعي العلني لإبعاد كندا عن واشنطن، وقالت وزيرة الخارجية الكندية انيتا اناند بعد وصولها الى بكين هذا الأسبوع "من الضروري ان ننوع شركائنا التجاريين، وان نزيد التجارة غير الأميركية بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ خلال السنوات العشر المقبلة".

هذا ليس مجرد تحوط بل انقلاب استراتيجي

تكشف بيانات التجارة الصينية أن العالم لا يقلل المخاطر من بكين، بل من واشنطن، فبالرغم من انخفاض الصادرات بشكل حاد إلى الولايات المتحدة، تواصل صادرات الصين الإجمالية ارتفاعها، وارتفع فائضها التجاري إلى نحو ١,٢ تريليون دولار في عام ٢٠٢٥، مع توسع الشحنات إلى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وأوروبا ومعظم آسيا بسرعة، ولم تمنع الرسوم الجمركية الصين من العالم، بل شجعت العديد من الدول على الاستمرار في التجارة مع بكين.

أرقام بيانات استطلاعات الرأي العام تعكس هذا التحول ايضًا، فقد أظهر استطلاع جديد واسع أجراه المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية أن نسبة المستجيبين في القوى الصاعدة الرئيسية، الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا، الذين يفضلون أن تنضم بلادهم إلى تكتل بقيادة الولايات المتحدة (بدلًا من تكتل صيني) انخفضت بين ١٥ و١٩ نقطة مئوية خلال عامين فقط، وهناك ١٦٪ فقط في ١٠ دول أوروبية يصفون اميركا بانها حليف، على الرغم من أن الغالبية لا تزال تعتبر الولايات المتحدة شريكا رئيسيًا، بينما تظل الآراء تجاه الصين مختلطة وليست ودية بالضرورة، كما قال وزير الخارجية السنغافوري السابق جورج يو مؤخرًا، إن ترامب "يسرّع المستقبل ... نحو تعدد الأقطاب."

ما هو على المحك هنا ليس صورة أمريكا فقط، بل قوتها المستقبلية، فالصين تبني بشكل منهجي واحدة من أكثر الأنظمة الاقتصادية مرونة في التاريخ الحديث، يقوم على الهيمنة على معالجة المعادن الحيوية، والنجاح في إنتاج البطاريات والمركبات الكهربائية على نطاق واسع، وتوسيع أسواق التصدير لتحمل الصدمات والعقوبات والرسوم الجمركية.

والرد الأمريكي الوحيد الموثوق ليس الرسوم الجمركية، التي تزامنت خلال العام الماضي مع تراجع فرص العمل في الصناعة التحويلية، بل بناء منظومة اقتصادية متكاملة خاصة بنا. فالولايات المتحدة لا تزال تتمتع بميزة استثنائية: شبكة واسعة من الحلفاء والشركاء تتحكم معًا في معظم التكنولوجيا المتقدمة ورأس المال والعمالة الماهرة والطلب الاستهلاكي في العالم.

يمكن لهذا التحالف من الناحية النظرية تأمين المواد الحيوية من دول صديقة، وتوزيع الإنتاج الصناعي بين شركاء موثوقين، وتبادل البحث العلمي، وتأمين أسواق مفتوحة ومستقرة، لكن أميركا من الناحية العملية فقدت جزءًا كبيرًا من هذه الميزة، فاعتبار الحلفاء مجرد عملاء تجاريين، واستخدام الرسوم الجمركية كسلاح ضدهم، وتحويل الالتزامات الطويلة الأمد إلى وسيلة ابتزاز، شجعت واشنطن الآخرين على التحوط، وما هو الأدهى، أن الولايات المتحدة لم تعد رائدة الاتجاهات العالمية، بل تتراجع نحو الحمائية والقومية، بينما يبحث العالم عن المزيد من التجارة والتعاون.

لقد بُني النظام العالمي منذ عقود على منصة أمريكية، فالتجارة كانت تمر عبر مؤسسات صممتها الولايات المتحدة، والأمن استند إلى الضمانات الأمريكية، والأزمات كانت تُدار، سواء للأفضل أو للأسوأ، من واشنطن، والأجندة العالمية كانت تحدد في واشنطن.

تلك المنصة ما زالت موجودة، لكن العالم لم يعد يبني عليها، بل أصبح يبني حولها.

فريد زكريا - واشنطن بوست



سوريا بلا خطة لإعادة الاعمار بعد عام من حكم الشرع

في سوريا، أصبح الدمار الناتج عن ١٣ عامًا من الحرب جزءًا من المشهد اليومي، ولا تكاد توجد مدينة أو بلدة لم تتعرض لأضرار، أو مجتمع لم يمسّه الدمار، في هذا البلد الشاسع الذي يبلغ عدد سكانه ٢٣ مليون نسمة.

في المدن الرئيسية مثل العاصمة دمشق، دُمرت أحياء كاملة وضواحي بأكملها، بينما سعى الديكتاتور بشار الأسد وحلفاؤه روسيا وإيران لسحق التمرد المسلح الذي نشأ من انتفاضة الربيع العربي عام ٢٠١١.

ودفعت أعمال القتال والقمع أكثر من نصف السكان إلى الفرار من منازلهم، تاركين وراءهم مدنًا بلا سكان وأحياء كاملة حيث لا يزال كل شارع تقريبًا مظلمًا وغير صالح للسكن، وبالكاد بدأت مهمة تنظيف وإعادة الإعمار بعد ان أسقط المتمردون النظام في ديسمبر ٢٠٢٤، وتركيز الحكومة الجديدة برئاسة أحمد الشرع على ترسيخ سلطتها.

لقد عاد أكثر من ثلاثة ملايين سوري منذ فرار الأسد وطلبه اللجوء في روسيا، ويعيش كثير منهم في الخراب، أو في خيمة بجواره، فيما قام بعضهم بترميم شقة معلقة في منتصف هيكل فارغ لمبنى سكني، وعانت المدينة القديمة في حلب ومحافظة حلب المحيطة بها من أضرار واسعة خلال سنوات الحرب، وكانت مسرحًا للاشتباكات الأخيرة.

مرّت خطوط القتال عبر المدينة القديمة الأسطورية، المشهورة بمنازلها ذات الفناء الداخلي وسوقها المغطى، وتقول رزان عبد الوهاب، مهندسة معمارية تنسق مشاريع في المنطقة لصالح برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية "كانوا يتقاتلون عليها. إنها كارثة كبيرة"، وأضافت أن ٦٠٪ من المدينة القديمة دُمرت، بما في ذلك العديد من المباني المسجلة كآثار، وحتى مع بدء أعمال ترميم أجزاء من السوق، تظل المدينة القديمة مشهدًا مروعًا من الغبار والحطام.

ويقول عبد القادر، وهو تاجر عاد في ٢٠١٧ ليجد منزله وعمله بالقرب من المدينة القديمة مدمرين: "لا أستطيع نسيان ذلك اليوم، وأنا أنظر إلى كل هذا الدمار. لماذا؟ من أجل ماذا؟"

ويكافح العديد من السوريين من أجل البقاء، إذ تضرر أو دُمر ثلث المساكن في البلاد، والبطالة مرتفعة، ويعيش ٩٠٪ من السوريين في فقر، وفقًا للأمم المتحدة.

ووجد مسح لبرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية أن ٣١٪ من المساكن بحاجة إلى إعادة بناء أو ترميم، ما يترك البلاد بحاجة إلى ١,٩ مليون منزل لحوالي ١٠ ملايين شخص، والوضع واضح في المدن، ففي مدينة درعا جنوب غرب البلاد، مهد الانتفاضة السورية عام ٢٠١١، دُمّرت الأحياء التي دعمت التمرد بالكامل.

ويقول محمد خير باجبوج (٥٠ عامًا) "في بعض الأماكن، الحطام كبير لدرجة أننا لا نستطيع معرفة مكان بيوتنا السابقة، وأحيانًا لا نجد حتى الشارع"، وأوضح أن منزله ومنزل ابن عمه فقط مأهولان في شارعه، بعد أن ساعدت إحدى الجمعيات الخيرية في ترميم سقف المنزل، وأضاف: "عاد عدد قليل جدًا من الناس لأن معظمنا لا يملك المال."

وتنتشر القرى والبلدات بعيدًا عن المدن الكبرى، بالألغام الأرضية والقنابل غير المنفجرة، والتي تقتل وتشوه العائدين، ففي أحد أيام الصيف الماضي في دير الزور، شرق سوريا، فُجّرت امرأة وابنها المراهق أثناء تنقلهما لجمع الخردة في مكب نفايات؛ فقتلت الأم وأصيب الابن إصابات بالغة في الوجه والعينين.

ووصفت الأمم المتحدة دير الزور بأنها المدينة الأكثر تضررًا في سوريا، حيث تتعرج حركة المرور بين الحفر وتلتف حول أكوام الحطام، ويلعب الأطفال بين الأنقاض تحت ألواح خرسانية ضخمة معلقة بشكل خطير على المباني، والغبار يملأ الهواء.

وعانت دير الزور أيضًا من سيطرة تنظيم الدولة (داعش)، مثل معظم مناطق شرق سوريا، وطرقها وجسورها مدمرة، وكنائسها ومساجدها تحولت إلى أنقاض، والمدارس والمستشفيات قليلة جدًا.

إن مهمة إعادة الإعمار ضخمة للغاية، وتُقدّر منظمة الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل) أن تكلفة الإسكان وحدها ستبلغ ٨٠ مليار دولار، ويقدر البنك الدولي تكلفة إعادة إعمار سوريا بنحو ٢١٦ مليار دولار.

وذكرت مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي مؤخرًا أنه "لا يزال لا يوجد حديث عن وضع خطة شاملة لإعادة الإعمار الاقتصادي".

ومع قيام إدارة ترامب والعديد من الجهات المانحة الغربية الأخرى بخفض ميزانيات المساعدات الدولية، تسعى الحكومة السورية للحصول على التمويل من القطاع الخاص.

وحذر الخبراء من أن هذا الأمر ينطوي على مخاطر جمة، فإذا لم تتم إدارة إعادة الإعمار بقيادة القطاع الخاص بنزاهة، فقد يؤدي ذلك إلى تجدد المحسوبية والفساد وعدم المساواة الاجتماعية، مما قد يُفاقم حالة عدم الاستقرار.

ويقول هيروشي تاكاباياشي، رئيس برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية في سوريا: "إذا كنا نريد حقًا تحقيق الاستقرار، فلا بد من تقديم الدعم لإعادة الإعمار"، وأضاف أن سوريا كانت ركيزة أساسية للاستقرار في جزء كبير من منطقة الشرق الأوسط، وقال: "إذا فشلنا هنا، فقد لا يستمر هذا النظام العالمي برمته".

وبعد كل هذا القدر من الخسائر والدمار، لا يطلب السوريون الكثير، ويقول قدري مصلي، صاحب متجر في دير الزور، والذي قال إن شقيقه نزف حتى الموت في الشارع تحت وابل القصف خلال المعارك: "من سيعوضني؟ من سيعوضنا عن الأشخاص الذين فقدناهم، والأموال التي خسرناها؟"، مضيفًا: "يمكننا النهوض من جديد وتحقيق نمو حضاري، لكن ذلك سيكون بطيئًا للغاية".

نيويورك تايمز

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

قالت العرب

ليس الحاسد هو الذي يطمع أن يساويك بأن يرقى إليك، بل هو الذي يريد أن تساويه بأن تنزل إليه!

عباس محمود العقاد

الدولة تدجن معرض الكتاب..وهذه هى الأسباب

من منصة هيكل إلى قوائم الأمن.. ومن أخطر ساحة ثقافية إلى فعالية بلا معنى

لم يمت معرض القاهرة الدولى للكتاب فجأة، ولم يغلق بقرار.. ولم تعلن الدولة نهاية دوره رسميا، مات أو شارف على الموت ببطء وبهدوء وبطريقة منظمة.. مات حين قررت السلطة أن الثقافة لم تعد مساحة يمكن المخاطرة بها، وأن الكتاب لم يعد أداة وعي.. بل احتمال فوضى، مات حين تحول من ساحة عامة مفتوحة للصدام الفكري.. إلى فعالية منضبطة تدار بمنطق "تقليل الخسائر"، لا توسيع الأسئلة..

السؤال بعد ٥٧ عاما ليس: ماذا قدم المعرض؟ بل: هل خافت الدولة منه؟

لم يكن بريئا أبدا

منذ تأسيسه عام ١٩٦٩.. لم يكن معرض القاهرة الدولى للكتاب مشروعا ثقافيا بريئا أو محايدا.. الدولة التى أنشأته، عبر ثروت عكاشة لم تفعل ذلك حبا فى القراءة المجردة.. بل إيمانا بأن الثقافة سلاح.. فى ذلك الوقت كانت الدولة ترى أن السيطرة على المجال العام لا تتم فقط بالقوانين والأجهزة بل بصناعة الوعى نفسه...

لكن الفارق الجوهرى أن الدولة وقتها لم تكن تخشى الصدام الفكري.. كانت واثقة من سرديتها وقادرة أو هكذا ظنت على احتواء الخلاف بدل دفنه.. لذلك ولد المعرض مرتبطا بالسلطة، لكنه لم يكن مؤمما أمنيا... كانت هناك مساحة ولو محسوبة للاختلاف الحقيقي..

المعرض أخطر من الشارع

فى السبعينيات والثمانينيات.. تحول المعرض إلى ما يشبه البرلمان الموازي.. قاعات مكتظة ونقاشات حادة وجمهور لا يأتى للتفرج بل للمشاركة.. محمد حسنين هيكل لم يكن ضيف شرف بل صوتا سياسيا يشرح ويفكك ويغضب.. نزار قبانى لم يكن شاعرا رومانسيا فقط.. بل رجلا يقول ما لا يقال عن السلطة والهزيمة والمرأة والدولة.. محمود درويش وسميح القاسم حملا القصيدة معنى المقاومة لا الزينة الثقافية....

الأهم أن هؤلاء لم يكونوا "مناسبين".. كانوا خطرين...

والخطر هنا هو جوهر المسألة..

مناظرات لم تنته بكارثة

حين استضاف المعرض مناظرات الشيخ محمد الغزالى مع فرج فودة.. لم يكن ذلك مجرد حدث ثقافي.. كان اختبارا مباشرا لعلاقة الدولة بالدين.. وبالاختلاف وبحدود المسموح... مناظرات كهذه فى سياقها كانت قنابل فكرية.. لكنها خرجت إلى العلن أمام جمهور واسع بلا رقابة مباشرة وبلا محاولة لقتل الفكرة فى مهدها....

لم يكن المعرض محايدا.. لكنه كان مساحة صدام حقيقية.

وهذا تحديدا ما جعله حيا...

حين كانت الدولة تحضر... ولا تخنق

كان افتتاح المعرض بحضور رئيس الجمهورية رسالة واضحة الثقافة شأن سياسي.. لم تكن الدولة تختبئ خلف موظفين.. بل تواجه، كان النقاش يدور علنا وكانت الكتب تقرأ سياسيا لا كمنتج ثقافى معزول... فى تلك اللحظة كان المعرض يؤدى وظيفة مزدوجة..

– يتيح للدولة عرض سرديتها

– ويتيح لخصومها اختبار تلك السردية علنا.. اليوم، اختفت هذه الثنائية.. لم تعد الدولة تواجه... بل تدير...

التحول لم يكن فجائيا.. لكنه كان منهجيا.. مع تقلص المجال العام.. ومع صعود منطق "الأمن قبل السياسة.. تغيرت نظرة الدولة إلى الثقافة.. لم تعد أداة وعي.. بل احتمال إرباك.. لم يعد المثقف شريكا مزعجا، بل خطرا يجب تحييده... وهنا تغير كل شيء...

من الصدام إلى الإدارة

لم يلغ الجدل بقرار... بل قتل عبر الإدارة، اختيار موضوعات "آمنة".. اختيار متحدثين "مضمونين".. و تقديم ندوات بلا أسئلة حقيقية.. وتحويل الثقافة إلى نشاط بروتوكولي...

هذه ليست مصادفة بل سياسة ثقافية غير معلنة...

الضيف المناسب.. المثقف الذى لا يحرج أحدا

فى معرض اليوم.. لا يستبعد المثقف لأنه ضعيف بل لأنه قوى أكثر من اللازم.. لأن لديه ما يقوله خارج النص ولأن حضوره قد يجذب جمهورا، والجمهور خطر.. فتحول المثقف من فاعل عام إلى ديكور.. من صوت إلى اسم فى برنامج.. من شخص ينتظر كلامه إلى شخص لا فرق بينه وبين غيره.. وهكذا، ماتت الندوة قبل أن تبدأ....

الخطاب السهل يقول إن الناس لم تعد تقرأ... لكن الواقع أكثر قسوة، الناس لم تعد تدعى للنقاش...

الجمهور الذى كان يتدافع لحضور مناظرة أو ندوة سياسية أو فكرية، لم يختف فجأة.. هو ببساطة أدرك أن ما يقدم له الآن بلا مخاطر وبلا أسئلة وبلا معنى... الجمهور لا يهرب من الثقافة... بل يهرب من التفاهة المقنعة باسم الثقافة...

المنع

منع الكتب ودور النشر ليس جديدا على تاريخ المعرض، الجديد هو طبيعته.. فى السابق كان المنع حدثا استثنائيا يثير جدلا ويناقش علنا ويكشف حدود السلطة.. اليوم يتم المنع بصمت وضمن منطق "الاختيار".. لا الحظر...

لم يعد السؤال.. لماذا منع هذا الكتاب؟

بل: لماذا يسمح بهذا النوع فقط من الكتب؟

وهذا أخطر بكثير....

ما جرى لمعرض الكتاب ليس أزمة تنظيم ولا مشكلة ميزانية.. ولا تراجع اهتمام.. هو انعكاس دقيق لتحول الدولة نفسها.. من دولة تخوض صراع الأفكار إلى دولة تخشى الأسئلة..

الثقافة.. فى هذا السياق لم تعد ساحة تفاوض بل ملف يجب تحييده.. والمعرض الذى كان أخطر ساحة ثقافية.. تحول إلى حدث لا يزعج أحدا... ولا يهم أحدا...

السؤال الحقيقى ليس إن كان المعرض "انحرف".. بل إن كان مسموحا له أصلا أن يستمر كما كان... هل يمكن لمعرض كتاب أن يكون حيا فى سياق سياسى يخاف من النقاش؟ هل يمكن للثقافة أن تلعب دورها إذا أديرت بمنطق أمني؟

الإجابة غير مريحة...

معرض القاهرة الدولى للكتاب لم يفقد جمهوره ولم يفقد كتبه، بل فقد وظيفته.. لم يعد مساحة عامة، بل واجهة.. لم يعد خطرا، بل مطمئنا. ولم تعد الثقافة فيه سؤالا.. بل عرضا..

والمشكلة ليست فى المعرض وحده، بل فى دولة قررت فى لحظة ما أن الكتاب أخطر مما ينبغي...

عمار على حسن: مساحة باردة

الأديب والمفكر د. عمار على حسن يقدم قراءة قاسية لتحولات معرض القاهرة الدولى للكتاب، رافضا توصيفه كـ«مساحة آمنة»، ومعتبرا أن ما جرى أخطر من ذلك بكثير...

«هو لم يتحول إلى مساحة آمنة بل إلى مساحة باردة متكلسة مفلسة راكدة، لأن من قبل كانت الدولة وكان القائمون على المعرض لا يتعاملون معه باعتباره مجرد سوق للكتب، إنما هو مكان يصنع فرصا لمناقشة قضايا مهمة تشغل الجمهور وتشغل الرأى العام وتعرض رأى وموقف المثقفين من القضايا التى يمر بها مجتمعهم»..

ويرى عمار أن التراجع لم يكن صدفة، بل نتيجة مسار طويل بدأ مع القلق من دور المثقفين، وتهميشهم، ثم استقطاب بعضهم ليصبحوا مجرد أبواق للسلطة، وهو ما انعكس تدريجيا على المعرض نفسه...

«مع تراجع دور المثقفين والقلق منهم وتهميشهم واستقطاب بعضهم ليصبحوا مجرد أبواق للسلطة، كان من الطبيعى أن ينعكس ذلك على المعرض، أن هذا الدور يتم خفضه تدريجيا إلى أن يموت، وأحد مظاهر هذا الموت هو خلو المعرض من مناقشة قضايا الناس»..

ويؤكد أن هذا التحول لم يكن نابعا من تغير طبيعى فى دور المثقف، بل نتيجة تدبير سياسى وأمنى واضح...

«هذا التحول بالقطع كان بتدبير من أعلى.. من الطبيعى أن المثقف يريد لدوره أن يستمر ويريد أن يكون فاعلا اجتماWWيا ويشتبك مع قضايا مجتمعه، لكن السياق السياسى والأمنى لا يسمح بذلك، لذلك حدث هذا التحول من معرض كان شعلة نشاط ثقافى إلى مجرد سوق للكتب»..

ويربط عمار بين هذا التحول وتراجع صورة المثقف فى المجتمع، بعد أن فقد مكانته كصوت عام معبر عن هموم الناس...

«قطعا هذا أثر تأثيرا كبيرا جدا على دور المثقف وعلى مهمته وعلى صورته وإدراك المجتمع العام له. الآن.. المثقف فى الغالب العام لا يحظى باحترام، تحول إلى مجرد رجل محترف الكتابة ومحترف الخطابة أو محترف التعبير، لكن ليس ذلك المثقف الذى إذا نطق نطق بهموم المجتمع»...

وفيما يتعلق بالرقابة، يرى عمار أن المنع لم يعد فقط قرارا مباشرا، بل منظومة كاملة تبدأ من النشر نفسه...

«الرقابة على الكتب أصبحت شيئا معروفا، وأصبحت ظاهرة تبدأ من سعى دور النشر إلى الحصول على رقم إيداع، وصولا إلى صدور الكتاب والنظر إليه من قبل السلطة العامة، حتى عرضه فى معرض الكتاب لا يعنى بالضرورة أنه قد بات محميا من المصادرة أو من الاستبعاد الصامت أحيانا»..

ويشير إلى أن الرقابة الأخطر لم تعد خارجية فقط، بل تسللت إلى وعى الكتاب أنفسهم...

«الرقابة هبطت أكثر من ذلك إلى أقلام الكتاب أنفسهم، يعنى الأغلبية تراعى إذا جلست للكتابة كل هذه المشكلات التى يمكن أن يسببها لهم مقال أو قصة أو رواية أو كتاب نتيجة ضيق حرية التعبير إلى أدنى حد والنظر بارتياب إلى الثقافة»....

ويكشف عمار عن استبعاده الشخصى من المعرض منذ تسع سنوات، معتبرا أن ذلك جزء من سياسة أوسع لإخراج الأصوات المزعجة من المجال العام..

«أنا مستبعد من المعرض منذ تسع سنوات.. والسلطة السياسية حريصة على عدم وجود الأصوات التى قد تسبب لها نوعا من الإزعاج ولديها قبول جماهيرى أو مشتبكة مع القضايا العامة.. ولذلك كل من يحمل هذه الصفات يستبعد إلى حد كبير من المعرض»...

ويؤكد أن هذا الإقصاء يتم بهدوء، دون صدام علني...

«الدولة تخرج هذه الأصوات من المشهد تدريجيا وتريد أن تخرسها، فلا تدعى لندوات ولا مؤتمرات ولا ورش عمل ولا تشارك فى الأنشطة العامة، والمعرض أحد منابرها»...

ويرى أن وسائل التواصل الاجتماعى لعبت دورا فى كسر هذه العزلة... «لولا وسائل التواصل الاجتماعى لصار الإبعاد قاسيا جدا... وسائل التواصل الاجتماعى وفرت إلى حد كبير نوافذ ليطل منها هؤلاء على الجمهور العام»...

ويعتبر أن أخطر أشكال الرقابة هى الرقابة الناعمة المتحايلة.. «الرقابة المتحايلة أكثر قسوة وأمضى أثرا من الرقابة الصريحة... لأنها تصل إلى أهدافها دون أن تصير قضية عامة أو تصنع تكتلا من قبل المثقفين ضدها»...

ويختتم عمار شهادته بوصف مؤلم لتحول المعرض من حدث يشتبك معه المجتمع كله إلى فعالية تدار فى الظل.

«المعرض كان فرصة سانحة على مدار سنوات طويلة لتلاقى المثقفين... وكان يتحول فى حقيقة الأمر إلى أيام يشتبك فيها المجتمع المصرى كله حول الثقافة.. الآن المعرض يجرى فى أجواء من التكتم والسرية وكأنه فضيحة... ازداد جمالا من ناحية الشكل لكنه فقد الكثير من روحه ومضمونه ومهمته ودوره»...

د. مصطفى الفقي:

كان متفسا عن تحولات معرض القاهرة الدولى للكتاب قال المفكر السياسى د. مصطفى الفقي:

أرتبطت علاقتى بمعرض القاهرة الدولى للكتاب منذ كنت سكرتيرًا لرئيس الجمهورية للمعلومات فى مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وشعرت دائمًا أن المعرض كان يمثل متنفسًا لأصحاب الرؤى والأفكار فى مواجهة ما يدور حولنا إقليميًا ودوليًا. وقد أسهمت ندوات مع الكتاب التى كنت أحد المشاركين فيها بقوة، من خلال لقاء فكرى سنوي، على استحضار الرؤية الشاملة للمستقبل عبر الحوار الفكرى بين المثقفين الكبار، مصريين وعربًا، والرغبة الدائمة فى الحضور الحقيقى أمام زائر المعرض من كل مكان...

وعلق مصطفى الفقى قائلا: «لكننى لاحظت فى السنوات الأخيرة أن الأمر قد اختلف، وأصبح شراء الكتب أو اقتناؤها محدودًا، وأصبح المعرض مناسبة اجتماعية أكثر منها ثقافية، وتدور المشتريات حول بعض السلع التى لا علاقة لها بالثقافة والفكر. وأيقنت حينها أننا بحاجة إلى مراجعة حقيقية لدور المعرض حتى يعود إلى أصله ويقترب من الأسباب التى أدت إلى قيامه.. المثقفون لا يرتادون المعرض فى الغالب، فالمعرض قاصر على السيدات والأطفال والأسر التى تخرج فى نزهة يومية، والتجمع البشرى اللطيف، لكن لا يوجد دافع حقيقى لإثراء المعرض وتأكيد قيمته من خلال الكتب الجديدة والأفكار المتعددة، رغم أن الدولة حاولت إيجاد بدائل من خلال الموقع الذى نقل عدة مرات. أنا أذهب الآن إلى موقع المعرض فى ثالث موقع يشهده منذ بدايته، التى أعرفها شخصيًا، وبالتالى الدولة تحاول توفير المناخ الذى يؤدى لتحقيق هذا الهدف، لكنه لا يتحقق بالكامل».

وأضاف: «نأمل أن يكون معرض الكتاب مثل معارض كبرى فى العالم، مثل معرض فرانكفورت، بندواته الكبيرة، وحواراته الحرة، وأفكاره الجديدة، حتى يصبح كما كان الهدف من إنشائه: منارة أو مركز إبداع.. إذا كانت الحاجة أم الاختراع، فإن الحرية هى أم الإبداع، وكان المعرض يوفر أحيانًا مساحة من الحرية لا بأس بها، نرجو لها أن تزدهر وتنتعش وتزداد».

واستطرد الفقى موضحًا: «الرئيس مبارك كان يشجعنى شخصيًا ويطلب منى الذهاب إلى ندواتى فى المعرض سنويًا، ويلتقى شخصيًا بكبار الكتاب والمفكرين مثل أنيس منصور ومحمد سيد أحمد ولطفى الخولى وغيرهم، فى حوار حر ومفتوح فى موقع المعرض ومكانه. كانت هناك حتى طرائف ونوادر كثيرة أحتفظ بها من هذه اللقاءات المفتوحة. كان المعرض متنفسًا، ويعطى مساحة للحرية قد لا تكون مسموحا بها فى باقى منتديات الدولة، لكنه كان يعتبر شيئًا له خصوصية فى هذا النحو».

وقال أيضًا: «دور المثقف والجمهور مع الدولة مهم. الدولة تريد مثقفا واعيا يشارك فى البناء، والرئيس يؤكد على مفهوم الوعي: فكرة الوعي، الوعى بالأشياء، الوعى بفهم التاريخ، الوعى بالدور الثقافي. لكن الأجيال الجديدة انصرفت عنها، وساهم فى هذا التقدم التكنولوجى فى السوشيال ميديا، التى اختطفت جزءا مهما من المساحة التى كانت متاحة للمعرض فى عقل الشباب بالذات... المسألة اختلفت اختلافا كبيرا، ولا بد أن تعود الأمور إلى نصابها، بالتأكيد على الثقافة الفردية والاهتمام بقضايا النشر وتخفيض سعر الكتاب، فهناك عوامل كثيرة يجب مناقشتها»...

نبيل عبدالفتاح: رهاب خوف السلطة

عن الجدل الدائر حول ما إذا كان معرض القاهرة الدولى للكتاب قد شكل فى مرحلة من تاريخه ساحة صدام فكرى حقيقي، أم أن صورة الماضى يجرى تضخيمها اليوم.. قال الباحث والكاتب الصحفى د. نبيل عبد الفتاح إن معرض القاهرة للكتاب منذ نشأته هو أحد الأشكال المستعارة من التقاليد الغربية، وجزء من اهتمام الدولة بالثقافة فى مصر، ضمن ظاهرة تسليع الثقافة وفق المعنى السوسيولوجى فى سياقات تطور الرأسمالية الغربية، وذلك احتفاءً بالإنتاج الفكرى والإبداعى فى عديد مجالات العلوم الاجتماعية مثل الفلسفة والاجتماع والقانون والأدب إلى آخره.. وهى ظاهرة باتت جزءا لا يتجزأ من منطق ، وقوانين السوق الرأسمالي، بما فيه السينما والصحافة، وتداخلها مع شركات العلاقات العامة فى الولايات المتحدة، ثم تمدد ذلك إلى أوروبا.. السوق الثقافى والسلع الثقافية – وفق السوسيولوجيا الفرنسية وغيرها – هى جزء من طبيعة النظام الرأسمالى لترويج الإنتاج الثقافى والفنى وذلك كى تلقى ذيوعاً ورواجًا، مع بعض التراجع النسبى فى ظل سياقات انفجار الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعى التوليدي، إلا أن ذلك لا يعنى أنها معارض فى مجتمعات الثقافة فيها بالغة الأهمية من قطاعات واسعة من مواطنيها ،، وتشكل الجماعات القرائية قوة مؤثرة على سوق النشر على تعددها، واختلاف ميولها وذائقاتها القرائية وتفضيلاتها المتعددة.

وأضاف أن الثقافة جزء لا يتجزأ من تفاصيل أنماط الحياة فى المجتمعات الأكثر تقدما، وأيضا فى بلدان أخرى فى آسيا ومنها اليابان والهند والصين وكوريا الجنوبية وسنغافورة .. واستمدادنا فكرة معرض الكتاب من التقاليد الأوروبية والأمريكية إيجابى تماما، وتم تحقيق إنجازات كبيرة من خلال معارض الكتب فى مصر منذ نشأتها وربما حتى نهاية عصر مبارك وما بعده إلا قليلا. يمكن القول إن نظام المعرض الكتابى الغربى كان ولا يزال فى إطار نظم ليبرالية تمثيلية تكرست فيها حرية الفكر والعقل النقدى والرأى والبحث وحرية الضمير والتدين والاعتقاد والتعبير، وبالتالى أثر ذلك تأثيرًا كبيرًا فى حيوية معارض الكتب الكبرى بل وغيرها فى هذه المجتمعات الأكثر تقدما..

وأوضح أن الوضع فى بلادنا مختلف لأن معارض الكتب هى جزء من سياقات تغيرات نظام يوليو ١٩٥٢، خاصة فى عهدى السادات ومبارك، التى كانت محاطة ببعض من رهابُ الخوف من جانب السلطة السياسية الحاكمة ولا تزال تجاه الفكر النقدى الحر، والاراء والكتب التى تحاول تجاوز التابوهات السائدة وذلك من حيث تحديد التنظيم موضوعات المعرض السنوية لاسيما السياسية وخطوطها الحمراء. لاشك أن ذلك له اثره على تنظيم الندوات والموضوعات والشخصيات التى يتم دعوتها، وفى بعض الأحيان كان يتم منع بعض الأفكار أو حجبها على الأقل، ثم الشخصيات الفكرية البارزة المدعوة إلى مثل هذه الندوات فى المراحل الأولى من المعرض.. وأيضا فى ظل عصر مبارك، لاسيما فى نهايته حيث طرحت قضايا بالغة الأهمية وتمت دعوة بعض الشخصيات المصرية والعربية البارزة.

وأشار إلى أنه من الملاحظ حتى فى المجتمعات المتخلفة أن الرقابة على الأفكار والكتب تكسب مثل هذه الأفكار المحجوبة قوة وذيوعا، وهذا درس هام من تاريخ الأنظمة الرقابية فى عالمنا، ويزداد العالم انكشافاً الآن مع الثورة الرقمية التى تؤدى سلبا إلى دفع بعض الأفراد الرقميين أو الجماعات إلى نشر الأخبار الكاذبة والأفكار السطحية.. وبالنسبة لنا فى عصر مبارك، وفى ظل الركود والجمود السياسي، تم فتح المجال نسبيا أمام بعض من حرية الكلام والكتابة، وذلك لتخفيض اWلغليان والغضب السياسي، وكان ذلك منعكسا على قضايا الكتابة فى الصحف القومية وفى الكتب، وتزايد نسبيا فى الصحف المعارضة وفى بعض سياسات النشر فى هيئات وزارة الثقافة، ومن ثم انعكس ذلك إيجابيا على ندوات معرض الكتاب، وخاصة نوعية القضايا التى تم طرحها فى المقهى الثقافى على سبيل المثال أيام سمير سرحان رغم انتقادات المثقفين له، وفى الندوات العامة والشخصيات التى كان يتم دعوتها فى هذا الإطار.

وقال نبيل عبدالفتاح:

فى تقديرى لم يكن هناك صدام فكري، وإنما جدل من أطراف سياسية ودينية مختلفة تحت مفهوم الحوار الذى تحول إلى سجالات ع ارمة، وأيضا لأن الواقع كان يشهدها، ولا بأس فى ذلك فى ظل محاولات، أو سياسة تخفيض الغضب الاجتماعى والسياسي.

وأضاف أن ظاهرة تضخيم صورة الماضى هى جزء من مشاكل العقل العام مصريًا، بل وعقل من يطلق عليهم مجازًا المثقفين، – والاستثناءات محدودة – ، وهو إضفاء بعض من النزعة الأيقونية على بعض المفكرين والمبدعين المصريين، وذلك استلهامًا للمرحلة شبه الليبرالية وغيرها فى ظل الناصرية. بعض من هذه النزعة الأيقونية والتمجيدية للماضى تعود إلى تمجيد النزعة القومية المصرية، وهى جزء من تقاليد التمركز حول الذات القومية واستعلائها على بعض دول المنطقة قبل وبعد الاستقلال الوطنى عن الاستعمار الغربي، وترجع أيضا إلى تصورات الأجيال الأكبر سنًا عن زمانهم ونمط حياتهم فى مقارنة مع الأجيال الشابة بعدهم، وما كان يطلق عليه فى اللغة الشائعة «حلاوة زمان» و«الزمان الجميل» من منظور هذه الأجيال، وهى دلالة على بعض من العقل النقلى العام وتوارى العقل النقدى فى المجال العام والحياة الثقافية.

وأكد أن من الملاحظ أيضا تزايد نزعة تضخيم الماضى وتحولها إلى مرض اجتماعى وفكري، وتتفاقم فى ظل أزمات ممتدة، ويصبح تضخيم الماضى أيًا كانت مراحله بمثابة ملجأ لخلق حالة من التوازن السوسيو نفسى فى مواجهة أزمات الحاضر. بعضهم يلجأ إلى تضخيم الماضى كأداة للنقد السياسى فى كل مرحلة لا يجدون فيها مجالا للنقد والتعبير عما يجرى أمامهم وحولهم من سياسات. نعم، هناك بعض من التفكير الأيقونى والمؤسطر لماضى معرض الكتاب وقضاياه وأشخاصه، لكن ليس معنى ذلك أن هذا الماضى صالح، وأيقوناته المؤسطرة صالحة لعالم جديد ومختلف وفى طور التحول، ونحن بعيدون عنه ، وآخرون أيضًا فى هذه المنطقة من العالم.

وعن المناظرات مثل الغزالى وفرج فودة، قال إن المناظرات، والأُخرى السجالات، جاءت من أعطاف تقديرات بعضُ دوائر السلطة السياسية ولم تكن خارجة عنها، ولأسباب سياسية محضة... المراقبة هى فعل الأجهزة المختصة فى سياق تقديراتها للحدث ذاته، فهى رقابة بعدية، ومن ثم يتم فى عديد الأحيان الخلط بين المراقبة والسيطرة على الفعل الثقافي، وذلك ناتج عن أحداث انتفاضة يناير الشعبية الكبرى فى ٢٥ يناير٢٠١١ ، وما بعدها، فى ظل حكم جماعة الإخوان والسلفيين وما بعدهم، نظرًا لتقديرات ذات طبيعة سياسية.

وأضاف أن بعض هذه التغيرات تعود إلى حلول عقل أيضا وزاري، ربما يكون مختلفًا عن الأجيال السابقة ذات الخبرات السياسية وقدرتها على التعامل مع القضايا السجالية الساخنة فى الواقع المصري، وأيضا على احتواء أى آثار لها ذات طابع سياسى وأمني. مرجع ذلك أيضًا أن العقل الثقافى لبعض وزراء الثقافة يميل إلى الحذر الشديد وبعض من الخوف من انعكاسات الجدل والسجال الحر على مواقعهم الوزارية أو البيروقراطية، وهى سياسة رهابُ الخوف والحذر، تجعل أى انفتاح على الآراء الأخرى التى تسود المجتمع، سواء على المستوى الفعلى أو على مستوى الحياة الرقمية يمثل خطرا على مواقع بعضهم الوزارية ..

وقال إن مسؤولية اختيار شخصيات المعرض والضيوف والموضوعات هى من اختيارات تشكيلات أعضاء الهيئة العليا للمعرض التى يشكلها الوزراء، ونظرًا لخلفيات تكوين وخبرات بعضهم واختياراتهم لرؤساء هيئة الكتاب، غالبًا ما يميلون إلى اختيارات آمنة سياسيًا لهم حتى لا تكون سببا فى «رفدهم» فى أول تعديل وزاري.. اختيارات الأسماء تميل إلى شخصيات بعضها مهم، وهم قلة قليلة بعد يناير، أو لعلاقات مع بيروقراطيات الأجهزة الثقافية فى دول النفط العربية، أو لحدود معرفة الوزراء ورؤساء الهيئة المتعاقبين بأهم رموز الفكر والإبداع العربي، خاصة أن غالبهم جاء من بعض كليات، الآداب فى الجامعات المصرية، وتفضيلاتهم للأدباء والأديبات وعلى اختياراتهم لبعض من كبار المفكرين، وخاصة من المنطقة المغاربية ونسيان مفكرى وأدباء السودان واليمن .. الخ .

وأضاف أن تراجع حضور الجمهور للندوات يعود إلى أنه رغم أن أكثر من خمسة ملايين زاروا المعرض العام الماضى وفق هيئة الكتاب، إلا أنه لا توجد دراسات سوسيو ثقافية حول جمهور المعرض عموما، ومستويات تعليمهم، ومن أى الفئات الاجتماعية، وما هى اختياراتهم من الكتب ومجالاتها، وتفضيلاتهم للموضوعات والمجالات، وأيضًا رأيهم فى الموضوعات النقاشية وأشخاصها، وفى التنظيم، وهى مهمة يفترض أن تقوم بها أحد أجهزة الوزارة أو جهة بحثية مختصة تكلفها القيام بها.

وأشار إلى وجود تغيرات مختلفة فى الحوافز المحركة للجمهور وانتمائه الاجتماعى فى الذهاب للمعرض، خاصة بعد نقله من موقعه القديم بأرض المعارض، وارتفاع أسعار الكتب، وأيضًا أسعار الخدمات التى يقدمها القطاع الخاص.. جزء من الجمهور يذهب مع أولاده كنمط من التنزه، وبعضهم من أثرياء وأبناء الطبقة الوسطى العليا والوسطى الوسطى ومن سكان الكومباوندات، ويذهبون بالعربات الخاصة أو عربات الأجرة وشركاتها، ولديهم القدرة الشرائية على الاستهلاك أو شراء بعض الكتب والروايات والمجموعات القصصية.

وأوضح أن جمهور الندوات تضاءل كثيرا جدا فى المعارض الماضية، لأن الموضوعات ليست حيوية، أو لأن جزءًا من الجمهور يستغل قاعات الندوات للراحة، أو لأن الندوات وموضوعاتها لا تناسب اهتماماته.. ومن هنا بات حضور الندوات، لا سيما حول الروايات والقصص، مقتصرًا على الكتاب والكاتبات وبعض ذويهم وأصدقائهم ومن بعض متابعيهم، وبات مع ثورة وسائل التواصل الاجتماعى صورة الكاتبة والكاتب مع أصدقائه وأسرته، والمناقشين أهم من النقاش النقدى حول كتبهم.

وأضاف أن الموضوعات باتت نمطية ومتراجعة إذا ما قورنت بندوات معارض تونس والمغرب، أو لبنان، أو أربيل وبغداد.

واختتم بالقول إن الأثر الحقيقى لأى معرض كتاب هو تفاعل قطاعات من الجمهور حول قضاياه وكتبه وشراء بعضها، وفق اهتماماته ومجاله، مشيرًا إلى أنه يلاحظ جليا كيف أثرت الثورة الرقمية والكتاب الرقمى على الورقي، والندوات على الساحة الرقمية، والبودكاست على عيون جموع المهتمين بالثقافة على وسائل التواصل الاجتماعى من بعض جيل واى وزد، وستتراجع من ثم بعض الاهتمامات بالمعارض والندوات على الواقع الفعلى مع جيل ألفا ثم بيتا فى المستقبل القريب والمتوسط، فى ظل التمدد فائق السرعة للذكاء الاصطناعى التوليدي...

خاتمة

فى النهاية، ما جرى لمعرض القاهرة الدولى للكتاب ليس مجرد تراجع تنظيمى أو تغيير فى موقع أو جمهور، بل هو انعكاس دقيق لتحول الدولة نفسها وللعلاقة بين السلطة والثقافة والمثقف.. ما كان يوما مساحة حية للنقاش والصراع الفكري، صار فعالية منظمة، بلا مخاطرة، بلا سؤال، وبلا جمهور حقيقى يشارك... المعرض الذى شهد مناظرات جريئة وأصواتا قوية، أصبح اليوم واجهة مطمئنة، تعرض الكتب وتباع بلا روح، وتغيب فيها وظيفة الثقافة الحقيقية: إثارة الفكر، طرح الأسئلة، وصناعة وعي...

ولذلك، قراءة التاريخ والنقد الذى يقدمه المثقفون مثل عمار على حسن، مصطفى الفقي، ونبيل عبد الفتاح، لا تكشف فقط عن ماضى مضى، بل تدعونا للتفكير فيما إذا كان ممكن إعادة الحياة لهذا المعرض، واستعادة دوره كمكان للنقاش الحر، ومساحة للمثقف والجمهور على حد سواء، حيث تطرح الأفكار وتختبر وتتناقش، بعيدا عن أى قيود تمنعها من أن تكون ثقافة حقيقية، لا مجرد عرض بلا معنى...

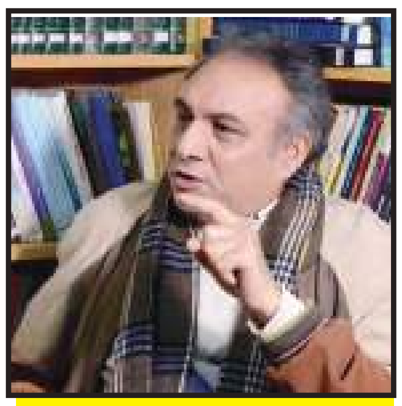
تحقيق: مادونا شوقي











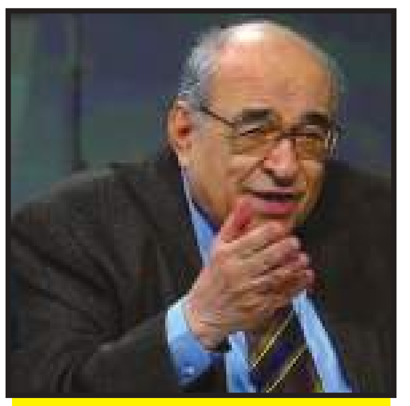
عمار على حسن:

«الرقابة أصبحت معروفة.. والمثقفون يستبعدون لأن السلطة لا تحتمل الأصوات المزعجة»



نبيل عبد الفتاح:

معرض القاهرة للكتاب حاليا نتاج حسابات السلطة والسوق والعصبُ الأدبية والرقمية



مصطفى الفقي:

من منارة للحوار الحر إلى مناسبة اجتماعية... المعرض يحتاج إلى استعادة دوره الثقافى والفكري

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

قالت العرب

أنت الذي تلون حياتك بنظرك إليها،
فحياتك من صنع أفكارك،
فلا تضع نظارةً سوداء على عينيك .

عائض القرني

تاريخ المعرض: أسسه ثروت عكاشة وشهد عصره الذهبي من عام ١٩٨٦



ثروت عكاشة وسهير القلماوى فى افتتاح الدورة الأولى للمعرض



شعار معرض هذا العام

عام ١٩٦٩، كانت القاهرة تحتفل بمناسبة مرور ألف عام على إنشائها على يد جوهر الصقلي، وزير الخليفة الفاطمى المعز لدين الله، وبهذه المناسبة الفريدة التى كانت الدولة كلها تعد لها قرر وزير الثقافة آنذاك الدكتور ثروت عكاشة، أن يكون إقامة أول معرض دولى للكتاب بالقاهرة فى يناير ١٩٦٩ هو خير بدء لاحتفالات العيد الألفي، وعهد إلى الكاتبة والباحثة د. سهير القلماوى، رئيس المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بالإشراف على إقامة المعرض الذى تم افتتاحه مساء ٢٢ يناير ١٩٦٩، بأرض المعارض بالجزيرة (المكان الحالى لدار الأوبرا المصرية) بحضور لفيف من الكتاب والمثقفين، ليفتتح للجمهور فى ٢٣ يناير ١٩٦٩.

وكتب الدكتور ثروت عكاشة، فى مذكراته، عن إنشاء المعرض قائلا: "قدم إلـيّ الفنان عبد السلام الشريف مُقترحاً حول ضرورة إقامة معرض دولى للكتاب فى مصر، وأشرت على المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بتبنى الاقتراح، فاتصلت بسوق الكتاب الدولى المعروف فى ليبزج، وأرسلت مندوبها الأستاذ إسلام شلبى للتمهيد لإقامة معرض شبيه بِه على النطاق العربى، ليربطها بحركة نشر الكتاب دولياً، من خلال التعامل مع المشتركين فى معرض ليبزج السنوى، وكان لحماسته الفائقة وكفاءته المذهلة الفضل الأكبر فى نجاح الفكرة . وبدأت نتيجة هذه الإتصالات المثمرة الإعداد لمعرض الكتاب الدولى، الذى أقامته المؤسسة لأول مرة فى يناير ١٩٦٩ كى تتيح الفرصة أمام الجامعات والهيئات العلمية، للوصول إلى حاجتها من المراجع بأسعار مناسبة. ولقد اشتركت فى هذا المعرض الأول ٢٧ دولة وأكثر من ٤٠٠ دار نشر، وزارة ما يزيد على سبعين ألف زائر خلال عشرة أيام، هى فترة إقامته".

كانت هذه الشرارة الأولى لانعقاد معرض القاهرة الدولى للكتاب التى عُقدت الدورة الأولى منه بمشاركة ٥ دول أجنبية وحوالى ١٠٠ ناشر على مساحة ٢٠٠٠. واستطاعت أن تحقق نجاحًا كبيرًا استقطب عددًا كبيرًا من الوزار وأحدث رواجًا مهما فى صناعة الكتاب.

منفذ بيع

اكتفى المعرض خلال دوراته التسع الأولى، بأن يكون منفذًا لبيع الكتب، ثم تحول بعد ذلك فى عام ١٩٧٨، إلى ملتقى أدبى حيث عقدت فى دورة تلك العام، حلقات دراسية على هامش المعرض، وتميزت بنقاشات موضوعية وعميقة تخص موضوعات الأطفال والأهالي، بتنظيم من مركز تنمية الكتاب بالهيئة العامة للكتاب بمساعدة اليونسكو. وفى عام ١٩٨٢ بدأت الملتقيات الثقافية بشكل رسمى للمرة الأولي. وواصل المعرض انعقاده بشكل دورى فى مقره بأرض معارض الجزيرة حتى تم نقله إلى أرض المعارض بمدينة نصر.

فى عام ١٩٧١ تعرضت دار الأوبرا الخديوية، بمقرها بحى الأزبكية إلى حريق كبير أدى لتدميرها بالكامل بعد أن بلغ عمرها ١٠٢ عاما، وتقرر فيما بعد بناؤها من جديد لكن فى مكان آخر، ثم تم اختيار مقر أرض المعارض بالجزيرة لتكون مقرا للأوبرا الجديدة، فانتقلت أرض المعارض لمقرها التالى فى مدينة نصر عام ١٩٨٠، وتم نقل معرض الكتاب إليها لتنعقد أولى دوراته فى المقر الجديد عام ١٩٨٣، وهى الدورة التى حملت رقم الـ١٦، ليظل ينعقد دوريا هناك على مدار ٣٥ عامًا، حتى عام ٢٠١٨.

وخلال تلك الأعوام، أصبح معرض الكتاب حدثاً بارزاً فى الوسط الثقافى العربي، يستوعب الكثير من الندوات والملتقيات بين الكتاب والشعراء ومتابعيهم

لكن هناك أحداثا بعينها ظلت محفورة فى مسيرة المعرض منها الدورة التى شاركت فيها دولة اسرائيل بعد اتفاقية السلام بأمر من الرئيس الأسبق أنور السادات عام ١٩٨١، لكنها لاقت اعتراضات ضخمة ومظاهرات اجتاحت الجناح الإسرائيلى بالرغم من حمايته من قوات الأمن، وكانت مشاركة فاشلة، تكررت بعدها بأربعة أعوام، فى العام ١٩٨٥، عبر جناح أصغر فى سرايا العرض فقط، ولكنها منعت تمامًا من المشاركة فى عام ١٩٨٧.

زاد نشاط الندوات والأنشطة الثقافية والمعارض الفنية بدءا من عام ١٩٨٦ على إثر مشاركة الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك فى المعرض للمرة الأولي، وعقده لقاء مع المثقفين استمر لمدة ساعتين، وواظب بعدها على المشاركة فى معرض الكتاب وافتتاحه بشكل دوري، وكان من بين من حضروا وأثروا النقاش فيه شخصيات وضعت بصمة لا تنسى فى تاريخ معرض القاهرة الدولى للكتاب، منهم: أديب نوبل نجيب محفوظ، المفكر د. زكى نجيب محمود، الكابتن محمود الجوهرى، الكاتب مكرم محمد أحمد، الكابتن حمادة إمام، د. أسامة الباز، المشير محمد عبدالغنى الجمسى، الكاتب محمود السعدنى، الكاتب أسامة أنور عكاشة، الفنانة صفية العمرى، الشاعر فاروق جويدة، الشاعرة الكويتية سعاد الصباح، الأديب ثروت أباظة، الفنان محمد منير، عالم نوبل د. أحمد زويل، الصحفى مفيد فوزى، الفنان عادل إمام، الشاعر السعودى زيد الثقفى، الفنان حسين فهمى، الفنان يحيى الفخرانى، الشاعر محمد عفيفى مطر، الكاتب محمد حسنين هيكل، الشاعر نزار قبانى، المخرج شريف عرفة، رسام الكاريكاتير مصطفى حسين، الشاعر سمير عبد الغنى، الخال عبد الرحمن الأبنودى، المخرج صلاح أبو سيف، الفنان عبد المنعم مدبولى، القاص يوسف إدريس، الروائية رضوى عاشور، المخرج يوسف شاهين، الوزير عمرو موسى، د. مصطفى الفقى، الفنان محمد أبو زهرة، الشيخ محمد الراوى، د. محمد عمارة، الفنان أبو بكر عزت، وغيرهم الكثير..

وفى عام ١٩٩٢ عُقدت أشهر المناظرات فى تاريخ المعرض، حيث أعلنت الهيئة المصرية العامة للكتاب فى الأول من يونيو عام ١٩٩٢ أن هذا العام سيشهد مناظرات حول موضوعات شائكة فى معرض الكتاب، تحت عنوان مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية، وكان أطراف المناظرة الشيخ محمد الغزالي، والمستشار محمد مأمون الهضيبي، والدكتور محمد عمارة، وكان فى مواجهتهم المفكر فرج فودة، رئيس حزب المستقبل آنذاك، والدكتور محمد أحمد خلف الله، العضو البارز بحزب التجمع، وأدار المناظرة د. سمير سرحان، رئيس هيئة الكتاب وقتها، وحضرها ما يقرب من ٣٠ ألف شخص.

وشهد المعرض كذلك عدد من الأزمات فى دوراته مثل الاحتجاجات الشديدة من قبل الجماعات المتشددة عام ٢٠٠٠ على بعض المنشورات والكتب الصادرة عن دور نشر حكومية وخاصة والتى تحولت إلى تظاهرات نادرة الحدوث وقتها، كما تعرض بعض الناشرين وباعة الكتب إلى التضييق على كتبهم ومنع بعضها من قبل الدولة عام ٢٠٠٥.

بدءا من العام ٢٠٠٦ بدأت إدارة المعرض باختيار دولة لتكون ضيف شرف المعرض، وكانت الدولة الأولى هى «ألمانيا»، وبدأت للمرة الأولى كذلك فعاليات الدائرة المستديرة، وتم تصنيف معرض القاهرة الدولى للكتاب كثانى أهم وأكبر المعارض على مستوى العالم بعد معرض فرانكفورت، إذ أصبح الملايين يتوافدون على دوراته سنويًا بانتظام.

وفى عام ٢٠١٠ اتخذ الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك قرارا بهدم جميع مبانى أرض المعارض تمهيدا لبيع الأرض إلى جهات استثمارية، ومنذ ذلك الحين تحولت صالات عرض الكتب إلى خيم وقاعات عرض مكشوف.

وطوال سنوات المعرض لم يتوقف أو يتم تأجيل أى من دورات المعرض، سوى فى دورة واحدة فقط عام ٢٠١١، بسبب قيام ثورة ٢٥ يناير، والتى استمرت حتى ١١ فبراير، وكان مقررا افتتاح تلك الدورة فى ٢٩ يناير، ثم عادت الدورات إلى الانتظام، بدءًا من العام التالي.

وفى عام ٢٠١٩ انتقل مقر معرض القاهرة الدولى للكتاب من مكانه فى أرض المعارض بمدينة مصر، إلى مركز مصر للمعارض الدولية بالتجمع الخامس، وذلك فى يوبيله الذهبي، إذ افتتحه الرئيس عبد الفتاح السيسى فى ٢٣ يناير ٢٠١٩، ليكون بذلك ثالث الأماكن التى تشهد تنظيم المعرض من بدايته فى عام ١٩٦٩. وقد تم اختيار شخصيتين للمعرض فى يوبيله الذهبى وهما ثروت عكاشة وسهير القلماوى المؤسسين الأولين لمعرض الكتاب.

تحقيق: هيباتيا موسى

جولة بين أهم الإصدارات داخل المعرض

فى الدورة السابعة والخمسين من معرض القاهرة الدولى للكتاب، المقرر انطلاقها فى الفترة من ٢١ يناير حتى ٣ فبراير ٢٠٢٦، هناك إصدارات جديدة نحاول تسليط الضوء على بعضها

المركز القومى للترجمة

– "كتاب الرؤيا.. رواية تاريخية" ترجمة الدكتورة نجات عبد الحميد الشيخ، ومراجعة محمد نور الدين عبد المنعم عبد القادر، والكتاب يضم بين دفتيه أول رواية تاريخية إيرانية مكتملة الأركان فنيًا، ظلّت حبيسة الظل لما يقرب من نصف قرن، قبل أن ترى النور مطبوعة لأول مرة عام ١٩٤٥، لتعيد كتابة تاريخ الرواية الإيرانية الحديثة من جديد، وتعلن ميلاد شكل سردى سابق لعصره. فيهِ يصوغ المؤلف محمد حسن خان محكمة متخيّلة، يقف فيها التاريخ عاريًا من الزخرفة، ويقدّم كشف حساب صادمًا عمّا كان يدور خلف جدران قصور الحكم: مؤامرات الساسة، صراعات السلطة، دهاليز القرار، وعلاقات ملتبسة تتشابك فيها المصالح المحلية مع التوغّل الأوروبى والاستعمار فى شرق آسيا والعالم الإسلامي.

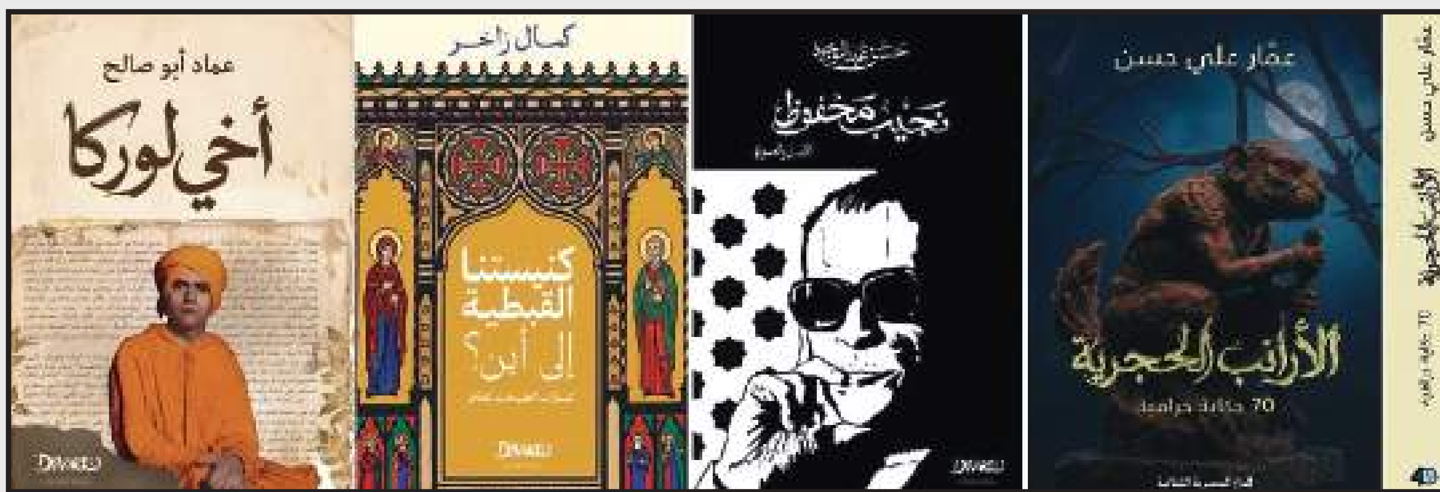
– "العون المتبادل.. أحد عوامل الارتقاء" ترجمة أحمد زكى أحمد، وهو العمل الفكرى الأبرز للفيلسوف الروسى والمفكر الأناركى بيتر كروبوتكين (١٨٤٢–١٩٢٢)، حيث يقدّم أطروحته العلمية الجريئة التى سعت إلى تصحيح الفهم الضيق لنظرية التطور، وبخاصة مفهوم "الصراع من أجل البقاء" لا يكتفى كروبوتكين بالمراجعة أو النقد، بل يذهب إلى قلب الفكرة رأسًا على عقب. على امتداد صفحات الكتاب، يقدّم كروبوتكين عرضًا ثريًا ومكثفًا لشواهد وأدلة تدعم أطروحته، تبدأ من ملاحظاته الدقيقة للسلوكيات التعاونية المعقّدة بين أنواع الحيوانات المختلفة فى الطبيعة، وتمرّ بتحليل أشكال التنظيم الاجتماعى التشاركى التى سادت المجتمعات البشرية عبر العصور، لتصل فى النهاية إلى تطبيقات عملية فى الحياة المعاصرة.

– "الدراما القومية.. سياسات التلفاز فى مصر"، من تأليف الباحثة الأنثروبولوجية البارزة ليلى أبو لغد، لا يتعامل مع المسلسلات بوصفها مادة ترفيهية عابرة، بل يقرأها باعتبارها خطابًا ثقافيًا وسياسيًا شارك، عن قصد أو بدونه، فى صياغة تصورات المصريين عن أنفسهم، وعن دولتهم، وعن معنى الانتماء خلال عقدين مفصليين من تاريخ مصر، هما الثمانينيات والتسعينيات.

– "حملة إبراهيم باشا على الشام" ترجمة منى سعفان وفاطمة خليل، وهو ترجمة لرسالة دكتوراه أنجزت بجامعة السوربون، اعتمد فيها المؤلف على شبكة واسعة من الوثائق الأصلية، شملت أرشيفات وزارات الخارجية والبحرية والحرب فى فرنسا وإنجلترا والنمسا، إلى جانب دار الوثائق العمومية وأرشيف الدولة، مدعومة بمصادر روسية وبروسية وسويدية ويونانية وأمريكية.

– "مرآة العقل.. أو خريطة المعرفة"، تأليف روبين جورج كولينغوود، وترجمة أحمد جمال أبو الليل، الذى يقدّم قراءة فلسفية معمّقة لتجربة العقل الإنساني، من خلال مراجعة نقدية لخمسة أنماط رئيسة للتجربة: الفن، والدين، والعلم، والتاريخ، والفلسفة، مرتّبة وفق ما تبلغه كل منها من درجة الحقيقة. يعرض الكتاب تصورًا للعقل بوصفه حركة دائمة لا تهدأ، تسعى إلى تشكيل (خريطة للمعرفة) وتصحيح مساراتها على الدوام.

– "كتابة المذبحة.. أشكال تناول صبرا وشاتيلا"، تأليف سمية ممدوح الشامي، وترجمة نسمة محمد دياب وياسمين أسامة الشيمي، ومراجعة عمرو زكريا عبد الله. يقدّم الكتاب دراسة مقارنة موسعة لتمثل مجزرة صبرا وشاتيلا فى عدد من النصوص الأدبية والنثرية والنقدية التى كتبها مؤلفون أمريكيون وبريطانيون وفرنسيون وعرب، سواء كتبت عقب الحدث مباشرة أو بعد مرور عقود عليه.



كتب ديوان



كتب تعرض بالمعرض



كتب لدور نشر متنوعة ابرزها القومي للترجمة

ديوان

– "أخى لوركا" لعماد أبو صالح، حيث لا تزال حياة وأعمال لوركا تثير أسئلة عميقة، وتتسع لتأويلات جديدة، رغم مرور تسعة عقود على غيابه، كما تكبر عائلة قرائه ونقاده ومترجميه وأصدقائه ومحبّيه. يقول أبو صالح: "أفرح كلما فشلوا فى العَثور على قبره، وأرجو ألا يجدوه. هذا يمنحنى الأمل فى أنه حي، إذ لا قتيل بلا جثة، ولا ميت دون قبر".

– "نجيب محفوظ الأصل والصورة" لحسن عبد الموجود. يقدم الكتاب وجوها غير معروفة لأديب نوبل، فعلى مدار سنين صنعت نمائم الوسط الأدبى صورة ثابتة لنجيب محفوظ، كموظف مثالى منضبط، لكن حكايات هذا الكتاب التى يرويها نجيب محفوظ بنفسه تردُّ الصورة إلى أصلها، وترينا عالمًا مثيرًا كان جزءًا منه، وتكشف لنا أنه صاحب وجوه متعددة وغير معقولة.

– "المعجم السِّرى للآباء" للروائى محمد سمير ندا. فى هذا الكتاب، نقرأ رسائل مفتوحة على فرص للعبور بين جيلين، يكتبها ابن فشل فى نسيان أبيه، إلى أبناء يخشى أن ينسونه. هذه الرسائل هى خلاصة تجربة فريدة، تجمع بين القصص والألوان والرموز والقواعد اللغوية المبتكرة والمفاهيم الخاصة، نتعلم منها كيف نفكر على نحو غير تقليدي، وكيف نرى أعمق من سطح الصورة الماثلة أمامنا.

– رواية "آشا: يوم وصول الرجل الأحمر" وهى الجزء الثانى لرواية "آشا.. الجعران والقمر" لسمر نور. فى هذه الرواية يصل الرجل الإنجليزى على رأس مجموعة من العسكر فى مهمة لتأديب عمدة الشباك المتعاون مع جيش المهدى المارق، ويفدى ابن العمدة الجميع ويسلم نفسه، لكن الأمر لا ينتهى ببساطة، فتلك اللحظة العاصفة تصير فرصة ليظهر كل فرد فى قرية الشباك ما يخبئه فى أعماقه، حتى أن العبد والسيد يتبادلان الأدوار.

– "محكمة الوحى الإلهي" لأحمد فؤاد الدين، التى يعود فيها إلى زمن الحضارة المصرية القديمة، ليس من باب الحنين، وإنما ليرسم عالمًا غير مسبوق، طارحًا مفهوم الأبوة والبنوة، ويعقد محاكمة مستمرة لكل ما هو موروث ومعتاد.

– "أحلام ومآسي" لبلال علاء، فى تلك القصص ومع تكرار صوت الراوى والأماكن والأسماء، نجد أنفسنا فى عالم واسع أقرب إلى الرواية أو المتوالية القصصية تأخذنا فى رحلة داخل أعماق جيل واجه تغيرات كبرى، من خلال صوت راو يشعر بالحيرة والقلق تجاه وجوده، ويحاولً جاهدًا أن يفهم نفسه من خلال نظرة الآخرين إليه، لكنه يكتشف فى كل مرة أنه يعيش غربة مُرّة رغم وجوده فى مدينته ووسط أصحابه وحبيباته.

– "وحوش صغيرة"ديوان شعر لعبير عبد العزيز، حيث يقدّم صوتًا شعريًا حميميًا يشتغل على التفاصيل الهشّة فى الحياة اليومية، حيث تتحوّل المشاعر العابرة، والعلاقات المؤقتة، والذكريات البسيطة إلى مادة شعرية كثيفة، مشبعة بالأسى الخفيف والسخرية الناعمة.

– "كنيستنا القبطية.. إلى أين؟" للمؤرخ كمال زاخر. يقترب المؤرخ المؤلف بخبراته الرفيعة فى الملف القبطى من كواليس الإدارة الكنسية، فى عهود سياسية متعاقبة، وعبر عواصف وأنواء تاريخية لا تُنسى، يطلعنا على جذورها وكواليسها، ودور رجال الإكليروس فى العبور بها من بحار الشك إلى أراضى اليقين.

– "فلسطين بين مخالب الاستعمار" لأحمد صادق سعد، يحلّل المؤلف الظروف التاريخية والسياسية التى أوقعت فلسطين «بين مخالب» الاستعمار البريطانى وحليفه الاستعمار الصهيوني، ويفنّد المزاعم الصهيونية بشأن «الحق التاريخي»، كما يرفض فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين، التى طُرحت للمرة الأولى فى أعقاب هزيمة ثورة ١٩٣٦–١٩٣٩.

– "نساء آل تيودور" لعائشة خليل عبد الكريم، تغوص دكتورة عائشة خليل انطلاقا من شغفها بآل تيودور الذى امتد لسنوات عديدة، إلى عالم نساء البيت الملكي، لنكتشف كيف كانت أصواتهن مؤثرة، وقراراتهن حاسمة فى تشكيل مصير أمة. من الأم الكبرى التى رفعت ابنها على العرش إلى الحفيدة الذهبية الملكة إليزابيث الأولى مرورا بالملكة كاثرين الأرجونية.

– "دليل الذكاء الاصطناعي" لسامح الطويل هذا الكتاب يمثل رحلة شيقة عبر عالم الذكاء الاصطناعي، من جذوره التاريخيّة إلى تطبيقاته المعاصرة، ومن أساسيّاته النظريّة إلى استخداماتهَ العمليّة.

– "أفلام غير مشاهدة بدقة" لرحمة الحداد، وأحمد عزت عامر، وحسام السيد، وحسام فهمي، ومحمد عوض يوسف. يحتفى الكتاب بكل ما يسقط من التقييمات الرقمية والعلامات النهائية، بالمشاهدة الأكثر دقة، بعد سحر المشاهدة الأولى، كتابة لن تقدم إجابة صحيحة ولكن ربما تهديك للأسباب التى جعلت فيلمًا ما يسكنك إلى الأبد.

دار "دون" للنشر

– "صاحبة الفساتين" للكاتب ملاك رزق، والتى وصلت مخطوطتها الأولى للقائمة القصيرة لجائزة كتارا عن فئة الروايات غير المنشورة ٢٠٢٥. تنطلق الرواية من سؤال غامض: كيف يمكن لرسالة منسية داخل كتاب عتيق أن تفتح بوابة بين عالمين؟ كتاب مدفون فى حفرة عميقة لا يحمل بين صفحاته الحكاية فقط، بل يدفن معه روح الأب، ويطفئ شغف الأم بالكتابة، لتستبدله بهوسها بالفساتين كملاذ أخير من الفقد. بعد عقود، تلتقط الابنة "تودد" خيط الحكاية عبر رسالة غامضة.

– "اختطاف أثينا" للكاتب والمستشار حسام العادلي، يناقش الكتاب الكيفية التى صنعت بها أوروبا لنفسها أصلًا حضاريًا بعد سقوط روما، حين أعادت توظيف اليونان القديمة بوصفها غنيمة فكرية، وانتزعتها من محيطها الأفروآسيوى لتقدّمها باعتبارها المنبع الخالص للعقل الغربي.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

– «البيئة والرقص الشعبى فى احتفاليات الزواج» للدكتور مدحت فهمى مصطفى، فى دراسة توثيقية وتحليلية تتناول الرقص الشعبى المصرى بوصفه أحد أهم تجليات الثقافة الشعبية، ومرآةً حيةً لعلاقة الإنسان ببيئته ومعتقداته وطقوسه الاجتماعية.

الدار المصرية اللبنانية

– "الأرانب الحجرية .. ٧٠ حكاية خرافية" للكاتب عمار على حسن، يصور فيه جانبًا مهمًا من سحر المخيلة الشعبية المصرية ، جمع الكاتب هذه الحكايات من قريته وقرى مجاورة لها من أفواه الناس، ومن بعض ما جادت به عليه الذاكرة، ثم أعاد صياغتها فى شكل حكايات أدبية، منحها الكثير من شروط الكتابة القصصية، دون أن يجور على جوهرها .

تقرير: هيباتيا موسى

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م- 28 رجب 1447هـ

قالت العرب

مش باقي مني / غير شوية قوة ف إرادتي / علي شوية شعر من خطي / حاسبي
عليهم وانتي بتخطي / وانتي ف صبح الدلال / بتعطري شَطي.. / مش باقي مني /
غير شوية ضي ف عينيا / أنا مش عايزهم / لو كنت يوم هالمحك / وانتي بتوطي
مش باقي مني – جمال بخيت

المستعرب فوكودا: محفوظ الأكثر ترجمة وكنفانى الأشهر فى اليابان

ألف ليلة وليلة أشهر الأعمال الأدبية القديمة المترجمة وترجمت أكثر من مرة لليابانية



يحظى الأدب اليابانى بمكانة مميزة لدى القراء العرب خاصة مع أديبها الأشهر هاروكى موراكامى (١٩٤٩-). والأدباء الحاصلون على جوائز نوبل «ياسونارى كواباتا» (١٨٩٩- ١٩٧٢) عام ١٩٦٨، وكنزابورو أوى (١٩٣٥- ٢٠٢٣م) عام ١٩٩٦م، وكازو إيشيجورو (١٩٥٤م-) عام ٢٠١٧م. وعلى الجانب المقابل تكاد تكون معلوماتنا كعرب محدودة عن مكانة الأدب العربى فى اليابان، وفى هذا الصدد كان « هذا الحوار لجريدة المشهد مع المستعرب يوشياكى فوكودا (١٩٦٩م-) أستاذ الأدب العربى بجامعة أوساكا باليابان، الذى أعد رسالتيه فى الماجستير والدكتوراه عن نجيب محفوظ (١٩١١- ٢٠٠٦)، بالإضافة إلى ترجماته وأوراقه البحثية التى تناقش حضور الأدب العربى فى اليابان منها «لماذا يترجمون الأدب العربى إلى اللغة اليابانية» و«الأناشيد الوطنية العربية: الهويات العابرة للحدود»، و«المسلمون فى الأدب اليابانى فى عصر شووا»، و« صورة الوطن فى الأدب العربى المعاصر فى مصر».



أتمنى ترجمة الحرافيش لنجيب محفوظ وبعض أعمال يوسف إدريس

احتكاكى بالثقافة العربية غيرت من هويتى وحولتنى إلى إنسان جديد

● متى بدأت علاقتك بالأدب العربي؟

– علاقتى بالأدب العربى بدأت منذ دخولى لجامعة أوساكا للدراسات الأجنبية فى ١٩٨٧م بقسم اللغة العربية.

● هل تفضل إطلاق مصطلح مستشرق أم مستعرب على مجال عملك؟

– أضطر فى سياقات كثيرة لاستخدام كلمة «مستشرق» للدلالة على مجال تخصصي؛ ولكنى أرى أن هذه التسمية غير دقيقة إلى حد بعيد لأنى شرقى أيضًا، لذا أفضل مصطلح «مستعرب».

●هل للأدب العربى جمهور فى اليابان؟

– نعم يوجد جمهور للأدب العربى فى اليابان وتزداد مع الوقت مساحة المهتمين به، وتلعب العوامل السياسية دوراً مهمًا فى زيادة الاهتمام بالأدب العربى المترجم فى اليابان، فالتوترات السياسية فى الشرق الأوسط لها دور فاعل وحيوي، ففى العام الماضى فى ظل أحداث قطاع غزة جرى ترجمة ثلاثة كتب فلسطينية إلى اليابانية أولها رواية عدنية شبلى «تفصيل ثانوي» بترجمة كاورو ياماموتو مباشرة عن العربية، صدرت عن دار نشر يابانية تتمتع بسمعة جيدة، ولاقت الرواية صدى طيباً لدى القراء اليابانيين الذين أشادوا بها. ومع تصاعد الأحداث السياسية فى الشرق الأوسط بدأ المتخصصون فى الأدب الإنجليزى ترجمة الأدب العربى عن الإنجليزية إلى يابانية.

ولمواكبة ما يجرى فى قطاع غزة قامت دور النشر اليابانية بإعادة نشر الترجمات اليابانية القديمة للأدب العربى مرة أخرى. إذ أعيد نشر أعمال محمود درويش الشعرية فى قطع صغير (حجم الجيب) بغلاف جديد ولكن هذه الترجمة غير مباشرة عن العربية، وجرت ترجمة كتاب: Gaza Writes Back: Short Stories from Young Writers in Gaza، Palestine، وهو بالأساس منشور باللغة الإنجليزية تحرير رفعت العرعير الذى استشهد فى غزة بغارة إسرائيلية ديسمبر ٢٠٢٣م.

●ما الأسباب التى تدفع المترجمين إلى الأدب العربى من وجهة نظرك؟

– أود أن أشير هنا إلى ما كتبته كريمة موروكا فى مقال قصير لها بمناسبة صدور ثلاثية نجيب محفوظ فى اليابان إلى أنه بصورة عامة ترجمة الأدب العربى إلى اليابانية محدودة حتى الآن، والمترجم الذى يختار العمل والقارئ الذى يتصفحه كلاهما يقرأ الأدب العربى كوسيلة لفهم عالم غريب مختلف عن اليابان وهو العالم العربى أكثر منه كوسيلة للمتعة الخالصة المحضة، وتأمل أن يتحول الأدب العربى من وسيلة فهم، إلى وسيلة متعة؛ لأن القراءة متعة فى الأساس، والقراءة دون متعة لا يقدر لها البقاء.

● هل عدد المترجمين للأدب العربى كبير فى اليابان؟

– لا. عدد القادرين على قراءة الأدب العربى بلغته الأصلية محدود جدًا فى اليابان، ولا يوجد مترجمون هواة، فمعظمهم يعملون فى الجامعة أو فى مؤسسات حكومية أو طلاب ماجستير ودكتوراه.

● هل هذه الترجمات تعود بالدخل المناسب على القائمين عليها؟

– هذه الترجمات لا تدر دخلاً على المترجمين، فحركة النشر فى اليابان تعانى من كساد فى هذه الآونة، فكثير من الشباب لم يعودوا يقرؤون الكتب الورقية فى ظل تغول الوسائط الرقمية، ولا تحبذ هذه الدور نشر الأعمال العربية إلا إذ حصل المترجم نفسه على معونة مالية من الحكومة اليابانية. وكثير من المترجمين يكون دافعهم لترجمة الأعمال العربية شعورهم بالمسؤولية الداخلية ومن وازع داخلى حين يعجبهم عمل ما ويرون أنه من المهم أن يطلع عليه القارئ اليابانى من أجل مد الجسور بين الثقافتين.

● ما نوعية الأعمال الأدبية المترجمة التى تحظى بقبول القارئ اليابانى؟

– هناك بعض الأعمال الأدبية العربية المترجمة حظيت بإقبال معقول من الجمهور مثل رواية «فرانكشتاين فى بغداد» لأحمد السعداوي، فالخيال العلمى له جمهور واسع فى اليابان، وصنعت لها دار النشر ترويجًا جيدًا، فروايات الخيال العلمى العربية إذا ترجمت فستجد جمهورًا واسعًا فى اليابان

● ماذا عن أشهر الأعمال الأدبية العربية شهرة فى اليابان؟

– ألف ليلة وليلة أشهر الأعمال الأدبية القديمة المترجمة إلى اليابانية، وترجمت أكثر من مرة، وترجماتها الأولى كانت نقلاً عن لغات وسيطة مثل الإنجليزية والفرنسية، أما أول ترجمة يابانية لها عن العربية مباشرة تمت فى الثمانينيات وتقع فى نحو ١٨ جزءًا.

● ومن الأدب العربى الحديث؟

– تأتى أعمال غسان كنفانى (١٩٣٦- ١٩٧٢) على قمة الأعمال الأدبية العربية الحديثة من حيث الشهرة، فاليابانيون بشكل عام مهتمون بالقضية الفلسطينية منذ زمن بعيدًا خاصة من الحركة اليسارية اليابانية فى الستينيات والسبعينيات التى كانت تبحث عن التضامن بين الشعوب الآسيوية وأمريكا اللاتينية والأفريقية التى عانت من الاستعمار الغربي، فاهتمت بالأدب العربى بدرجة كبيرة خاصة أدب كنفانى وأيضًا ترجمت أعمال لنجيب محفوظ ويوسف إدريس والطيب صالح، ففى السبعينيات صدرت سلسلة اسمها «الأعمال الكاملة للأدب العربى الحديث» وإن كان هذا المسمى غير دقيق فى الواقع لأنه لم تترجم الأعمال الكاملة حتى الآن

من أشهر الكتاب اليابانيين المنتمين إلى الحركة اليسارية كنزابورو أوى (١٩٣٥- ٢٠٢٣) الحاصل على جائزة نوبل للآداب لسنة ١٩٩٤، كان واحداً من المشاركين فى مشروع ترجمة الأدب العربي، وكان صديقًا لإدوارد سعيد (١٩٣٥- ٢٠٠٣) كانوا يتبادلون الرسائل ونشرت هذه المكاتبات فى جريدة يابانية.

● لماذا تحمس اليسار اليابانى لترجمة الأدب العربي؟

– المتخصصون الأكاديميون فى الأدب العربى هم من حملوا مسئولية ترجمة الأعمال الكلاسيكية العربية إلى اليابانية، بينما ترجمة الأدب العربى الحديث قامت على أكتاف الكُتّاب اليساريين الذين قادوا هذا الحراك، إذ كانت هناك مجلة يابانية باسم «لوتس» تصدر فى القاهرة لتعبر عن الاتجاه اليسارى العالمى بثلاث لغات العربية والإنجليزية والفرنسية، لكن هؤلاء اليساريين لم يكونوا يعرفون اللغة العربية لذا كلفوا اليابانيين الذين يجيدون العربية القيام بهذه المهمة، وتكللت جهود هذه الحركة فى البداية بترجمة عشرة أعمال إلى اليابانية أبرزها كنفانى وشملت كتابا من المغرب العربى الذين كانوا يكتبون بالفرنسية.

● من هو أكثر أديب عربى ترجمت أعماله إلى اليابانية؟

– أكثر أديب عربى ترجمت أعماله إلى اليابانية هو نجيب محفوظ لأنه كان هناك دبلوماسى يابانى يدعى هاناوا هاروو (١٩٣١-٢٠١٦) شُغف بأعمال محفوظ والتقى به أكثر من مرة وترجم أعماله إلى اليابانية على نفقته الخاصة، فترجم على سبيل المثال رواية «بين القصرين» قبل أن يحصل نجيب على نوبل.

● حدثنا عن أبرز الفاعلين فى مد جسور التواصل بين العالم العربى واليابان؟

– تجربة الكاتب نوبوأكى نوتوهارا أستاذ الأدب العربى فى جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية وصاحب كتاب «العرب وجهة نظر يابانية» لعب دورًا مهمًا فى ترجمة الأدب العربى إلى اليابانية، وكانت ذائقته الشخصية هى العامل الأول فى اختياره للأعمال التى يترجمها إلى اليابانية، وترجم على سبيل المثال رواية «الأرض» لعبدالرحمن الشرقاوى (١٩٢٠- ١٩٨٧)، وعاش فى قرية من قرى الدلتا المصرية لإتقان ترجمتها؛ لأنه لم يكن هناك قاموس للهجة المصرية فى اليابانية وقتها، فكان عليه معايشة واقع الرواية ليتمكن من نقلها إلى اليابانية عبر الاحتكاك المباشر مع الفلاحين.

●خصصت رسالتى الماجستير والدكتوراة لدراسة أدب نجيب محفوظ، فما سر ارتباطك به؟

– سر ارتباطى بنجيب محفوظ، جاء من اهتمامى بمدينة القاهرة نفسها أثناء إقامتى بها. وموضوع رسالتى فى الماجستير كان «الزمكان فى أعمال نجيب محفوظ فى الستينيات»، والدكتوراه عن «الفضاء المدينى فى أعمال نجيب محفوظ» وتناولت فيها كيف يصف محفوظ القاهرة فى رواياته مع مقارنة وصفه بأعمال الكُتّاب الآخرين لها مثل طه حسين ويوسف إدريس، وسلطت الضوء فى الرسالة على كيفية تحويل محفوظ القاهرة الواقعية إلى مدينته الخيالية والفلسفية.

معظم الكتاب المصريين كانوا يتناولون الثنائية بين الريف والقاهرة لكن نجيب ابن مدينة ويكره السفر ولا يخرج من القاهرة إلا إلى الإسكندرية فهو ينتمى إلى نوع من الكتاب الذى لا يحبذون السفر، لذا طور ثنائيته الخاصة المتعلقة بشرق وغرب القاهرة، وحول القاهرة من مكان واقعى إلى مكان خيالي.

●لم تتوقف أعمالك البحثية عن جيل نجيب محفوظ وامتدت للأجيال التالية من الكتاب الروائيين المصريين فما أبرز الفوارق التى وجدتها فى هذا الصدد؟

– قمت بمقارنة مفهوم الوطن لدى الكُتّاب الذين كانوا ينشطون فى القرن العشرين مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وبين الكُتّاب الشباب فى القرن الحادى وعشرين مثل علاء الأسوانى وأحمد العايدى وخالد الخميسى وجدت فارقًا كبيرًا، فالكتاب القدامى كانوا يتناولون مسألة الهجرة؛ لكن من مبدأ معارضتها ورفضها، وتدعو إلى الارتباط بأرض مصر، فالهوية الوطنية المصرية كانت مقدسة عندهم، لكن الجيل الحديث مثل الأسوانى لم يعد الوطن بهذه الهالة المقدسة ويرفضون استغلال الأنظمة للشعوب باسم الوطنية، ويسخفون من مقولات مثل «لو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا».

● كيف كان أثر الاحتكاك باللغة العربية وثقافتها وشعوبها فى تكوينك؟

– غيرت من هويتي، وحولتنى إلى إنسان جديد، فهويته الحالية جزء كبير منها كوّنها العالم العربي، وأدرك أن الأدب قد يكون وسيلة جيدة لمعرفة الفروق بين الثقافات المختلفة.

● تنقلت بين دول عربية مختلفة بحكم عملك، فأى شعوب المنطقة العربية أقرب إليك؟

– إعجابى كبير جدًا وشديد بالشعب المصرى الذى له سمات تميزه عن بقية الشعوب العربية، وحين أقارنه مع الشعب اليابانى أجد أنه أكثر انفتاحًا فى العلاقات عكس اليابانى المنطوي، وأتمنى أن أنقل هذه الروح المصرية إلى الثقافة اليابانية خاصة فى الجانب الإنسانى والترابط الاجتماعى والحميمية فى العلاقات.

● هل أعجبتك صورة اليابان فى عيون الشعب المصري؟

– صورة اليابان فى الوعى المصرى والعربى نمطية ومشوهة وغير دقيقة، ومن حسن ظنهم يطلقون عبارات إيجابية مثل «كوكب اليابان» بالطبع هذا يسعدنى لكن فى الوقت نفسه، استمرار مثل هذه الصورة النمطية لا يعمق العلاقة بين الشعبين، فهناك مشاكل فى اليابان وليست وردية كما يرسمها المخيال الشعبى المصري.

●ماذا عن صورة العرب فى اليابان، وهل لمصر وضعية خاصة عندهم؟

– صورة العرب فى اليابان مبهمة لدى الشعب الياباني، وإن كانت مصر لها وضعية خاصة قائمة بحد ذاتها ولا يخلطون بينها وبين الدول العربية الأخرى بسبب ولع اليابانيين الشديد جداً بالحضارة المصرية القديمة، ودائمًا ما يدعو اليابانيين للاهتمام بالعصور الحديثة، لكن العامة ينصب اهتمامهم فقط على الحضارة الفرعونية.

صورة العرب فى الذهنية اليابانية مرتبطة عادة بالنفط والصحراء والجمال والقوافل وعوالم ألف ليلة وليلة؛ لكن المثقفين لديهم فهم أكبر وصورة أكثر نضجاً عن العرب.

● ماذا عن جودة الأعمال العربية المترجمة إلى اليابانية؟

– هناك تفاوت فى قدرة المترجمين اليابانيين للأدب العربي، فبعضهم على درجة عالية من الفهم وأمناء فى ترجمتهم، وهناك من هو أقل من ذلك، لكن فى النهاية لا يوجد عمل مترجم دون أخطاء فبعضها يكون مقبولاً وفى مواضع أخرى يكون كارثيًا، وحين أقارن بين العمل المترجم وأصله العربى أجد فى بعض الترجمات أخطاء تعود فى الأساس إلى قدرات المترجم اللغوية وعدم إتقانه للغة العربية، فالحماس يدفع بعض المترجمين إلى دخول هذا المجال رغم أن قدرتهم على الترجمة غير كافية للقيام بهذا العمل.

● قدم لنا نموذجًا على هذه الترجمات التى ترى أنها كارثية؟

– من الأمثلة على الترجمات الكارثية ما حدث فى ترجمة رواية «عائد إلى حيفا» لغسان كنفانى وهو خطأ عائد فى الأصل لدار النشر وليس المترجم متعلق بخريطة وضعت لفلسطين؛ وضعوا رام الله فى إسرائيل وليس فى الضفة الغربية، وخلطوا بين الرملة ورام الله مما يجعل القراء لا يستطيعون فهم مضمون الرواية ومعاناة بطلها الرئيسي. وهذه الخريطة المغلوطة موجودة حتى الآن ويعاد طبع الرواية دون تصحيح هذا الخطأ.

●يحظى هاروكى موركامى بمكانة كبيرة فى العالم العربى هل يحظى بالتقدير نفسه داخل اليابان؟

– هناك حالة انقسام حوله فهناك جمهور يؤيده ويجتمع سنويًا وقت إعلان نوبل للآداب أملاً فى فوزه بها، ويشعرون بخيبة أمل حين يحصل عليها كاتب آخر، والقسم الآخر يكره أعماله، وعلى المستوى الشخصى أحب مقالاته أكثر بكثير من رواياته. يعجبنى فيها السلاسة وقدرته على الملاحظة، والفهم العميقة لما يجرى حوله

موراكامى من المغرمين بالثقافة الأمريكية، وشغوف بترجمة الأعمال الأمريكية إلى اليابانية، فترجم عددًا كبيرا جدًا من الروايات الأمريكية، وترجماته جيدة، ومن الذين ترجم لهم بكثرة ريموند كارفر (١٩٣٨- ١٩٨٨)، وترومان كابونى (١٩٢٤- ١٩٨٤)، فرنسيس سكوت كى فيتسجيرالد (١٩٤٠- ١٩٩٤)، جون ايرفينج (١٩٤٢-) وجيروم ديفيد سالينجر...إلخ، فالترجمة بالنسبة إليه ضرورية وحافز للكتابة الإبداعية عندهم كما يقول.

● هناك ولع خاص عند موراكامى بالرواية الأمريكية فما سر ذلك؟

– هاروكى من الجيل اليابانى الذى تربى بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وهذا الجيل فى اليابان شديد الارتباط بالثقافة الأمريكية، فهى التى كونت وعيهم الفكري. وهو من الكتاب النشطين وكل وقته مخصص للترجمة والكتابة الإبداعية ولا يخرج كثيرًا وهوايته هى الجري، حياته منتظمة يشبه فى هذا الجانب انضباطية نجيب محفوظ

وتعبر رواياته عن الفئة المتوسطة وما أعلى منها فى المجتمع اليابانى وتمثلها بشكل جيد، وهى الطبقة المتأثرة بالثقافة الأمريكية بشكل عام.

●ذكرت أنك غير معجب بأدب موراكامى هل يمكننا أن نعرف السبب؟

– لأن أعماله لا يبرز فيها الطابع السياسى بالشكل الكافى فى أعماله، خاصة الأولى، وتظهر هذه النقطة بشكل جلى حين تقرأ الأعمال الأدبية المصرية المملوءة بالسياسة بشكل مفرط فى كثير من الأحيان، لكن بعد حادثة أوم شنريكيو وهى جماعة دينية متشددة قامت بعملية إرهابية بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٩٥م برمى زجاجة غاز أعصاب السارين، أودت بحياة ١٣ شخصًا وأصيب نحو ٥٠٠٠ آخرين، بدأ موراكامى يدخل عوامل سياسية فى أعماله.

●ماذا عن علاقة هاروكى بإسرائيل؟

– سافر إليها عام ٢٠٠٩م بعد حصوله على جائزة إسرائيلية اسمها أورشاليم، وكان قبلها بعام قتل الكثير من الأبرياء فى قطاع غزة بقصف الطيران الإسرائيلي، وكانت هناك أقلام يابانية طالبته بعدم قبولها؛ لكنه ذهب إلى حفل توزيع الجوائز فى القدس ١٥ فبراير، مما جعل موقفه حرجًا فى اليابان واعتبر الكثيرون ذهابه شكلًا من أشكال التأييد لممارسات إسرائيل وجرائمها فى غزة؛ لكنه أصر على الذهاب وانتقد إسرائيل بخطاب غير مباشر بعنوان البيضة والحائط، هو لم يعجب الإسرائيليين رغم أن هناك «يهود» أمريكان حصلوا على هذه الجائزة من قبله وذهبوا لاستلامها وكان خطابهم أكثر مباشرة ضد الانتهاكات الإسرائيلية .

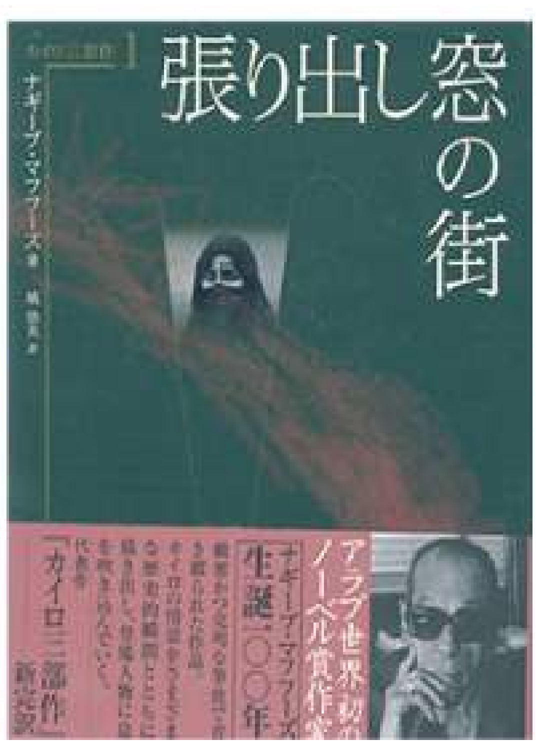
● فى الأخير ما العمل الذى تود أن تترجمه من العربية إلى اليابانية؟

– أمنيتى أن أترجم بعض قصص وأعمال يوسف إدريس التى لم تترجم، وكذلك ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ التى لم تترجم حتى الآن إلى اليابانية فهى عمل ضخم وأحب هذه الرواية أكثر من «أولاد حارتنا» وأعتبرها أقوى أعمال محفوظ فنيًا .

الشعب المصرى أكثر انفتاحًا فى العلاقات من اليابانيين وأتمنى نقل روحهم إلى هناك

صورة اليابان فى الوعى العربى نمطية ومشوهة وغير دقيقة







صورة العرب فى الذهنية اليابانية مرتبطة عادة بالنفط والصحراء والجمال والقوافل وعوالم ألف ليلة وليلة

سفر هاروكى موراكامى إلى إسرائيل جعل موقفه حرجًا فى اليابان واعتبره الكثيرون شكلًا من أشكال التأييد لجرائم إسرائيل فى غزة



اليسار شكل وعى الشعب اليابانى تجاه القضية الفلسطينية

حوار: د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

قالت العرب

زهرةٌ من بُكاء / تتجمّدُ - فوقَ شُجيرة عينيك - في لحظات الشّجار الصغيرة، / أشواكُها: الحزنُ.. والكِبرياءُ. / زهرةٌ فوق قبرٍ صغيرٍ / تنحَني؛ وأنا أتحاشى التطلّعَ نحوكَ../ في لحظات الوداعِ الأخيرْ. / تتَعرّى؛ وتلتفُّ بالدّمعِ - في كلِ ليلٍ - إذا الصّمتُ جاءْ. سفَر ألف دال

"سيزيرين" تكشف خبايا الطب المصري المسكوت عنها

خالد ذهني يرسم صورة قاتمة للقطاع الطبي روائيًا بأسلوب هزلي

تسلط رواية "سيزيرين" (دار دون) للكاتب المصري خالد ذهني الضوء على الفساد المتفشي في القطاع الطبي في مصر. ويشير عنوان الرواية سيزيرين (Cesarean) إلى الولادة القيصرية، التي غالبًا ما تُربط خطأً بميلاد يوليوس قيصر، غير أن هذا الاعتقاد غير دقيق، وفقا لما يوضحه المؤلف؛ إذ إنه في زمن الرومان، لم تكن الولادة عبر شق بطن الأم تجرى إلا في حال وفاتها أو احتضارها، لأنها كانت بمثابة حكم الإعدام على الأم.

وعلى عكس المعتقد الشائع، فإن والدة يوليوس قيصر لم تمت أثناء ولادته، بل عاشت حتى بلغ ابنها الرابعة والأربعين من عمره. ويُرجّح العلماء أن التسمية تعود في الأصل إلى قانون قيصري كان يفرض عدم دفن أي امرأة وجنينها داخل رحمها، ما استوجب إجراء شق في البطن لاستخراج الجنين قبل الدفن.

تتناول الرواية، كما يكشف عنوانها الفرعي التوضيحي) سيزيرين: قصة كريم رأفت، طبيب أمراض نساء وتوليد)، رحلة بطلها كريم خلال ثلاث سنوات من فترة نيابته، التي قضاها سعيًا للحصول على درجة الماجستير في تخصص أمراض النساء والتوليد.

يقدم السرد بأسلوب هزلي ساخر، يعكس من خلاله واقع المستشفيات الجامعية في مصر، وما يدور داخلها من تفاعلات بين الكوادر الطبية، والمعاونين لهم، والمرضى الذين يترددون عليها، كاشفا بذلك عن التحديات التي تواجه هذا القطاع الحيوي.

كسر الجدار

عمد ذهني إلى استخدام ضمير المتكلم، لجعل السرد أكثر حميمية وقربا من القارئ. كما كسر الجدار الرابع، بالتوجيه حديثه مباشرة إلى القارئ، لينقل حكايات متعددة ومنفصلة، لا يربط بينها سوى الطبيب السارد، الذي يستعرض المواقف التي مر بها داخل المستشفى الجامعي.

استند السرد إلى كوميديا الفارس (Farce)، وهو نوع من الكوميديا يقوم على التضخيم، المبالغة، والمحاكاة الساخرة، مع رسم الشخصيات بأسلوب كاريكاتوري ساخر. وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب قديم وظهر في المسرح منذ العصور الوسطى والنهضة الأوروبية، إلا أنه يُعتبر من أقل أشكال الكوميديا قيمة في الأدب، نظرا لاعتماده على التكرار، الإسراف في المبالغة، والسخرية من العيوب الخلقية والشخصيات النمطية، بهدف إثارة الضحك.

وفي سيزيرين تبدو السخرية حاضرة بوضوح، خاصة في تناول الشخصيات التي يلتقي بها الراوي من مرضى وزملاء، حيث يكثر التهكم على اللهجات المحلية لأبناء الريف، سواء من الصعيد، الفلاحين، أو البدو. كما تنحو الرواية نحو التنميط، فتقدم صورة الصعيدي بوصفه قليل الذكاء، متأثرةً بالنكات الشعبية والصور النمطية التي عززتها بعض الأفلام السينمائية.

ولا تتوقف السخرية عند هذا الحد، بل تمتد إلى ما يمكن وصفه بالعنصرية الطبقية، إذ تستهزئ الرواية بالفئات الدنيا من المجتمع، خاصة المرضى الذين يقصدون المستشفى للعلاج، فتتناول مظهرهم الخارجي، ملابسهم، الروائح التي تنبعث منهم، والسمنة المفرطة التي يعاني منها البعض. كما تشمل السخرية أطباء قادمين من بيئات فقيرة، حيث يتم تصويرهم من خلال معايير طبقية واضحة، تربط بين أصولهم الطبقية الكادحة وسلوكهم السلبي في التعامل مع المرضى، ما يجعل الرواية تتبنى نظرة ساخرة قد تصل إلى حد التمييز الطبقي في بعض مقاطعها.

تحامل على النساء

وتظهر في الرواية التهكمية الواضحة تجاه طبيبات النساء والتوليد، حيث جرى تقديمهن جميعا بصورة كاريكاتورية ساخرة، تعكس سمات سلبية مبالغ فيها فلم تقدم في الرواية طبيبة واحدة بصورة إيجابية، فهناك هدى البيلي الملقبة بـ"موسوليني" لقسوتها على من يعملون معها، في تشبيه ساخر يشير إلى ديكتاتوريتها في العمل. ووفاء زميلته التي لا تهتم سوى بأناقتها وسفرها مع زوجها للترفيه، دائمة التغيب عن المستشفى، مما يعكس صورة الطبيبة السطحية واللامبالية. وزميلته سعدية مسعود أسعد السعد الملقبة باسم العصبية وهي تفتقر إلى الكفاءة المهنية والقدرة على اتخاذ قرارات سليمة، مما يتسبب في كوارث طبية. كما تهرب دائمًا من المسؤولية، ويُسلط الضوء على هواياتها الغريبة في مشاهدة فيلم "الظهيرة". وأخيرا عصمت عوض أستاذة في قسم التوليد، رغم أن اسمها الحقيقي نيللي ولكن أطلق عليها اسم عصمت كونها أول امرأة تُعين في قسم التوليد فتشبهت بالرجال حتى تستطيع أن تتعامل مع الوسط الذي أصبحت فيه، وتظهر في صورة الطبيبة الانتهازية، فهي غير مؤهلة لإجراء العمليات الجراحية، وتكتفي بالجانب النظري، وتعتمد على الأطباء الجدد للقيام بالعمليات نيابة عنها. كما يتم تقديمها على أنها غير أمينة في عملها، حيث تزور الحيوانات المنوية الضعيفة بأخرى سليمة لإنجاح عمليات الحقن المجهري، وهو ما ينكشف أحيانا عندما يكون المريض مصابا بالعقم التام. وتظهر طبيبة أخرى في القسم تتعمد إسقاط طالبة عندها لأنها تتذكر قريبا لها قد منحها درجة لا تروقها عندما كانت طالبة فنذرت نذرا أنه إذ وقع تحت يدها أي من طرف هذا الطبيب فستWرد له الصاع صاعين وتعمد إلى إرسابها.

هذه الصورة الساخرة التي يرسمها ذهني للطبيبات تحمل جانبا من التفرقة العنصرية القائمة على الجنس إذ لم تقدم طبيبة واحدة بشكل إيجابي فهن إما ديكتاتوريات أو غير مباليات، أو انتهازيات، أو سطحيات ولا يتمتعن بالكفاءة المطلوبة، معتمدا على أسلوب يركز على السخرية من الشخصيات دون تعمق في دوافعها أو أبعادها الإنسانية.

المسكوت عنه

الأسلوب الهزلي الذي اختاره المؤلف لسرده لم يمنعه من فضح الواقع الطبي في مصر إذا يقول في ختامها أنه لم يقصد بهذا الأسلوب الهزلي أن يرفه عن القارئ ولا قصد انتزاع الضحكات منه ولا القهقهات ولا أن يسطر هزلا يعبث بخيال القارئ بقصص ماجنة، بل قصد مكاشفته بالمغموض الطرف عنه في ثقافتنا الصحية العربية من فساد وجهل وقصور وإهمال وأفكار بالية وقيم عقيمة. (ص٤٧٥).

تكشف الرواية عن مظاهر فساد عدة تنخر في القطاع الطبي في مصر منها "الوساطة" في تعيين الأطباء من أقرباء الأساتذة في الأقسام وإبعاد المتفوقين من غير ذوي القرابة، بتعمد ترسيبهم في الامتحانات، وإنشاء لجان خاصة لأبناء ذوي السلطة وتسريب الامتحانات لهم.

ويمتد الفساد في الأدوية سواء بتعاون الأطباء مع شركات بعينها لصرف الأدوية التي تنتجها مقابل خدمات مالية تقدم لهم سواء كان المرضى بحاجة لها أو لا، أو من خلال السرقة من مخزون أدوية المستشفى الحكومية من أجل الاستفادة بها في عياداتهم الخاصة.

وترصد كذلك غياب ضمير لدى الأطباء في إجراء العمليات غير المشروعة من إجهاض وترقيع غشاء البكارة، واستغلال غريزة الأمومة وجعل المحرومين يدفعون مبالغ ضخمة، رغم أن التكاليف الحقيقية للعلمية أقل بكثير، ويتجاوز الأمر إلى أن بعض الأطباء يزورن في النُّطف من أجل إنجاح العملية، وتحقيق نسب مرتفعة في علاج العقم للترويج لمستشفياتهم الخاصة.

وتسلط الرواية الضوء على استغلال الأساتذة المشرفين على الأطروحات العلمية على الأطباء بجعلهم خدما لهم يشترون لهم احتياجاتهم المنزلية، وتنفيذ كل أوامرهم خشية أن يغضب عليهم المشرف، وتكون نتيجة هذا الغضب عدم حصول الطبيب على درجة الماجستير. ويضاف إلى ذلك طريقة اختيار المشرفين لموضوع الأطروحة لتلاميذهم ويكون عادة حول موضوع قتل بحثا أو دون أدنى أهمية ويلجأ كثير من الأطباء إلى تزوير النتائج من أجل إكمال الموضوع بسبب التكلفة العالية للفحوصات التي يحتاجون إليها في ظل تدني رواتب هؤلاء الأطباء الجدد وعدم قدرتهم على الوفاء بهذه الالتزامات في بداية حياتهم الوظيفية. خاصة وأنهم يعلمون أن الدرجة العلمية تمنح في الأقسام بناء على محبة المشرف ورضاه للباحث وليس على كفاءته العلمية.

البعد التوعوي

وعلى جانب الآخر تحمل الرواية بعداً توعياً كبيراً، لتثقيف القارئ طبياً فيستعين بتقارير من المنظمات الدولية والمحلية مثل الأمم المتحدة، ودار الإفتاء المصرية، ومنظمة الصحة العالمية، والمركز القومي للدراسات الاجتماعية والجنائية، ويستعين بآراء الفقهاء المسلمين، ورجال الدين المسيحي، وقانون العقوبات المصري المتعلق بالمسائل الطبية.

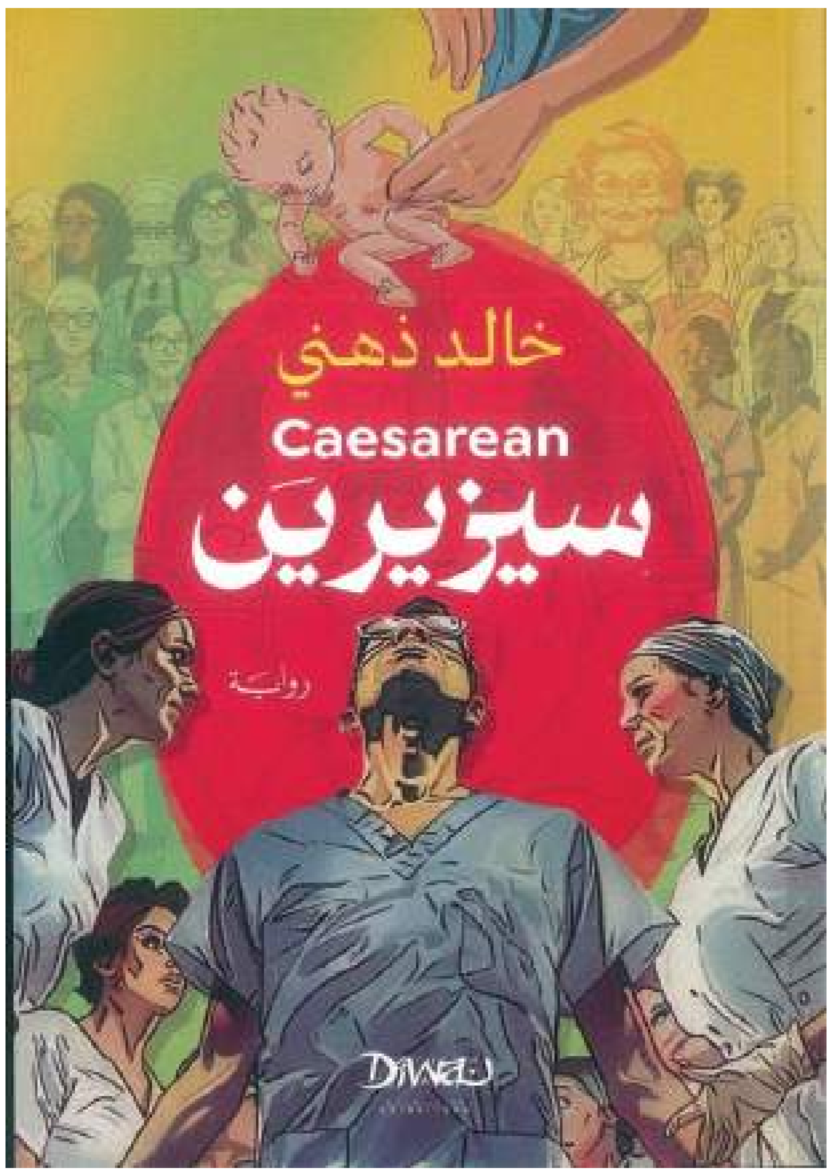
فقد أورد المؤلف في نهاية عمله ٨٣ مرجعاً استعان بها في تفنيد بعض القضايا التي يطرحها أو لذكر معلومات تاريخية حول أول من اخترع الواقي الذكري، أو أول من ابتكر التلقيح الصناعي ...إلخ. وهي معلومات مفيدة من الناحية التثقيفية لكنها تضر بنسيج البناء الروائي.

البناء الفني

ومن الناحية الفنية لم تهتم الرواية ببناء بعض الشخصيات بشكل روائي حقيقي مثل شخصية عرابي الذي يعمل كاتباً في المستشفى تسجيل حالات دخول المرضى والخروج منها، إلا أنه يرد على لسانه أشعار لكوكبة من الشعراء مثل فاروق جويدة، ومحمود درويش، وفدى وطوقان، وأحمد مطر، ويزيد بن سفيان الخليفة الأموي، ومحى الدين بن عربي، وبدوى الجبل، ...إلخ مع أنه لا يوجد مسوغ سردي أو فني يبرر هذه الثقافة الواسعة التي يتمتع بها عرابي. شخصية فرض عليها المؤلف حمولة معرفية لا تتناسب مع طبيعة الدور الذي تؤديه في الرواية.

أيضا، استعان المؤلف بهوامش توضيحية كثيرة حول الشعراء والشخصيات التاريخية التي أوردها، يمكن الاستغناء عنها بسهولة، إذ أنها معلومات معروفة للقارئ ولا تضيف قيمة حقيقية للنص السردي، بل تؤثر على انسيابية القراءة وتجعل الرواية أقرب إلى أسلوب تقريري بدلا من السرد الأدبي المتكامل.

وهذا الإسهاب في إيراد الشعر، والحكايات التراثية الفكاهية، والاستعانة بالتقارير الأممية، والمعلومات التاريخية، والقانونية، والدينية، أسهم في تضخم حجم الرواية إلى ٤٨٦صفحة، وجعل أسلوب الرواية يميل في كثير من أجزائه إلى المقالية، مما يضر بتدفق السرد ويقلل من تأثير الجانب الأدبي في العمل. فقد فضل المؤلف في بعض المواضع الجانب التوعوي على الجانب الأدبي، وهو ما جعل النسيج الروائي يفقد بعض من جاذبيته الأدبية، ويصبح أحيانا أقرب إلى النقد الاجتماعي والتثقيف بدلا من أن يكون نصا روائيا متماسكا.





د. عبدالكريم الحجراوي

أنوار الروح على ألواح الشفافية:

كيف يرمم الرسم على الزجاج انكسارات النفس؟



فاسيلي كاندينسكي



غابرييل مونتر



نماذج بيكاسو



نماذج للتعبير والعلاج من خلال الرسم على الزجاج

الضوء "يسقط" على اللوحة في الرسم التقليدي، أما في الرسم على الزجاج والبلاستيك الشفاف، فالضوء "يسكن" اللوحة. فاللون على الزجاج لا يستمد حياته من ذاته، بل من الضوء الذي يعبره. إنه فن يتغير بتغير ساعات النهار. اللوحة في الصباح هي قصيدة تفاؤل بظلال فاتحة، وفي الغروب تتحول إلى مرثية عميقة بظلال طويلة ودافئة. الضوء هنا ليس مجرد عامل خارجي، بل هو "الروح" التي تنفخ في جسد اللون الخام.

الشفافية تمنح الفن بعدا "مراوغا". الأسطح مثل البلاستيك والزجاج تمتلك قدرة على الانعكاس والشفافية في آن واحد. فالمشاهد يرى اللوحة، ويرى نفسه منعكساً عليها، ويرى ما وراءها من فضاء. هذا يخلق "حالة من السيولة البصرية" تحطم الحدود بين (الأنا) و(العمل الفني) و(الواقع الخارجي). إنها دعوة للتخلي عن النظرة الأحادية للأشياء

هذا الفن يعتمد على الرسم على أحد أوجه الزجاج بحيث يرى العمل من الوجه الآخر، وهو ما يتطلب دقة فنية مقلوبة.

وهناك العديد من الفنانين المشاهير الذين تناولوا الرسم على الزجاج منهم "فاسيلي كاندينسكي" رائد التجريد، وقد استلهم هذا الفن من الفولكلور البافاري الشعبي، وقام برسم مجموعة من الأعمال التجريدية الصغيرة على الزجاج التي تميزت بألوانها الروحانية العميقة.

والفنانة "غابرييل مونتر" كانت من أبرز من أحيوا هذا الفن في بدايات القرن العشرين، وجمعت فيه بين البساطة الفطرية وقوة التعبير اللوني.

وتعد تجربة بابلو بيكاسو في الرسم على الزجاج (أو ما يعرف تقنيا . Gemmaux) واحدة من أكثر فتراته إثارة للدهشة، رغم أنها أقل شهرة من لوحاته الزيتية. بدأت هذه الرحلة في منتصف الخمسينيات حينما تعاون مع الفنان والفيزيائي الفرنسي "جان كروتي".

في اللوحات التقليدية، يسقط الضوء على السطح، أما في الرسم على الزجاج، فالضوء ينبعث من خلال العمل.

رأى النقاد أن بيكاسو نجح هنا في تحويل "المادة الصماء" إلى "روح شفافة". بدلا من استخدام الفرشاة، كان يتعامل مع طبقات من الزجاج الملون المحطم والمصفوف بعناية، مما أعطى أعماله بعدا سماويا يذكرنا بالنوافذ الكاتدرائية، لكن بروح حداثية ثائرة.

تميزت التقنية في هذه الأعمال بتراكم طبقات الزجاج فوق بعضها البعض دون استخدام الرصاص الفاصل (كما في الزجاج المعشق التقليدي)، بل باستخدام مادة لاصقة شفافة. هذا الأسلوب سمح لبيكاسو بالحفاظ على "عنفوان" خطوطه التكعيبية مع إضافة بريق لا يمكن للألوان الزيتية تحقيقه. النقاد وصفوا هذه الأعمال بأنها "رسم بالضوء" وليس مجرد تلوين لسطح زجاجي.

لم يبتكر بيكاسو مواضيع جديدة كليا للزجاج، بل أعاد تنفيذ أشهر لوحاته (مثل "آنستات أفينيون" وصور "دورا مار").

ويرى المحللون أن إعادة تنفيذ هذه اللوحات على الزجاج كان محاولة من بيكاسو "لاختبار خلود" أفكاره. الزجاج لا يبهت، والضوء يمنح الشخصيات حياة متجددة كلما تغيرت زاوية الإنارة. لقد كان يبحث عن "النسخة المضيئة" من عبقريته

ومن المعاصرون والمتمردون على المادة ا`شيم زجاج السيارات بضربات مدروسة بدقةٍ متناهية ليخلق بورتريهات بشرية واقعية جداً من خلال شقوق الزجاج فقط.

وديل تشيهولي. رغم أنه يُعرف كنحات زجاج، إلا أن أعماله (خاصة السلسلة التي تتدلى من السقوف) هي في جوهرها رسم بالزجاج في الفضاء. هو يتلاعب بالشفافية واللون بطريقة تجعل المنحوتة تبدو وكأنها بقعة زيتية تسبح في الهواء.

ومن الفنانين العرب الذين برعوا في هذا المجال:

- محمد زينهم (مصر): فنان وأكاديمي مصري رائد في فن الزجاج، تميزت أعماله بالدمج بين القيم التشكيلية الحديثة والتقنيات التقليدية، وله مدرسة خاصة في "الرسم بالضوء واللون" عبر الزجاج المعشق والمسطح.

- فاطمة الطناني (مصر): من أوائل الفنانات اللواتي تخصصن في الزجاج المعشق، وعملت على تحويل هذا الفن من مجرد حرفة معمارية إلى فن تشكيلي يحمل رؤية ذاتية.

- وحنان ألفي فنانة مصرية معاصرة تخصصت لأكثر من ٣٠ عاماً في الرسم على الإكريليك والزجاج، حيث تمزج بين الأيقونات القبطية والمناظر الطبيعية بأسلوب شفاف ومبهج.

ويُعد الرسم على الزجاج والأسطح الشفافة (مثل البلاستيك والإكريليك والمرايا) من الأدوات الفعالة والمميزة في العلاج بالفن (Art Therapy). ولا يستخدم هنا لأغراض جمالية فحسب، بل لخصائصه الفيزيائية التي تحمل دلالات نفسية عميقة.

ويطلب من الشخص أحيانا الرسم على وجهي الزجاج؛ الوجه الأمامي يمثل ما يظهره للناس، والوجه الخلفي يمثل مشاعره الدفينة.

إن الرسم على البلاستيك الشفاف يساعد الأشخاص الذين يعانون من "غموض الهوية" أو التشتت على محاولة "تأطير" مشاعرهم فوق سطحٍ واضح لا يحجب الرؤية، مما يمنحهم شعورا بالسيطرة والوضوح.

وبما أن الرسم على الزجاج يتغير بتغير الضوء الساقط عليه. فاللوحة الزجاجية تبدو مختلفة تحت ضوء الشمس عنها في الظلام، كذلك مشكلات الحياة تتغير وطأتها بناء على الطريقة (أو الضوء) الذي نسلطه عليها.

أيضا يستخدم الرسم على المرايا لمواجهة "صورة الذات". الرسم فوق انعكاس الوجه يساعد في علاج اضطرابات الأكل أو انعدام الثقة بالنفس، حيث يدمج الشخص ملامحه الحقيقية مع الألوان التي تعبر عن حالته الداخلية.

ويستخدم البلاستيك والإكريليك للأطفال كبديل آمن للزجاج. ويساعد ملمس الألوان الانسيابي على البلاستيك في التخلص من القلق، لأن المسح والتعديل عليه أسهل من الورق، مما يشجع على العفوية.

ومن الفوائد النفسية المباشرة لهذا النشاط هو تفريغ الغضب، فإن النقش على الزجاج يساعد في تفريغ شحنات الغضب المكتومة، وتحسين التركيز لأن الرسم على الزجاج يتطلب دقة عالية وهدوءا، مما يدخل الشخص في حالة من "التدفق الذهني التي تشبه التأمل.

أيضا فإن ملمس الزجاج البارد ونعومة البلاستيك توفر تجربة حسية غنية تساعد في تهدئة الاشخاص الذين يعانون من القلق الحاد.

إن العلاج بالفن من خلال الزجاج أو البلاستيك ليس مجرد وسيط، بل هو مرآة للروح؛ فمن خلال تلوين شفافيته، يبدأ الشخص في تلوين الجوانب الباهتة أو المكسورة في حياته.

بقلم: د. سامى البلشى

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

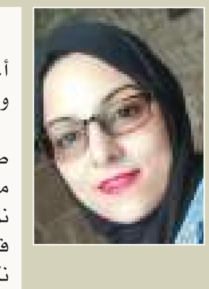
مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 344 السنة الرابعة عشرة- الخميس 15 يناير 2026م - 28 رجب 1447هـ

لأننا شعب لا يُفرِّط



بقلم: إيمان جمعة

تُرى ما سر هذا الوطن؛ الذى كلما حاول أعداؤه إسقاطه، نهض صامدًا أشدّ بأسًا وأقوى من ذى قبل؟

سرٌّ لطالما تفكّرتُ فيه؛ أننا تربينا منذ صغرنا على أن الوطن لم يكن يومًا حفنةً من تراب، ولا مسكنًا نعيش فيه، ولا شوارع نمشى فيها مطمئنين، الوطن شعورٌ محفورٌ فى دواخلنا، لم تمحه هزيمة، ولم تُضعفه نكسة؛ بل على العكس تمامًا، فكل ضعف مررنا به أشعل فينا نار الغيرة عليه، ونارً العداء لكل من أراد به سوءًا قديمًا كان أم حديثًا.

تعلّمنا أن الوطن كرامة، وأن الانتماء ليس شعارًا يُرفع فى أوقات الرخاء ويُطوى عند الشدائد، بل عهدٌ لا يسقط بالتقادم، وتعلّمنا أن الدفاع عنه لا يكون بالسلاح وحده، بل بالصبر، والعمل، والإيمان العميق بأنه يستحق أن نقف لأجله مهما بلغت الكلفة.

انظروا حولكم إلى الدول التى سقطت وتهاوت؛ أكان ينقصها الموارد أم غاب عنها الشعب؟

مؤخرًا، أُثيرت دعواتٌ جوفاء، حاولت التزيّن بلباس الحكمة وهى منها براء، تردد كلمات مستهلكة لا تحمل فكرًا ولا تبنى وعيًا، دعواتٌ تصدر عن أفواه لم تع يومًا ثمن الأوطان، متبنّية أفكارًا سُمِّيّة من قبيل: من قال إننا مُطالَبون بالدفاع عن الوطن؟ ومن قال إننا مُطالَبون بالوقوف إلى جانبه؟ ولماذا؟

وكأنّ الوطن خيارٌ قابلٌ للتفاوض، لا قيمة له إلا بقدر ما يمنح، لم تدرك هذه الأصوات أن ما أبقى هذا الوطن صامدًا حتى اليوم فى وجه كل العواصف التى عصفت به، لم يكن إلا ذلك الشعور الجمعى العميق بالمسؤولية تجاهه، تلك "قرونِ الاستشعار" الكامنة فى وعى الشعب، التى ما إن تلتقط أزمةً تُحدق به، أو مؤامرةً تُحاك ضدّه، حتى تتشابك الأيدي؛ مؤيّدها ومعارضها، فى صفٍّ واحد، لا لشيء إلا لإفشال تلك المؤامرات ودحضها، وحماية الوطنً من السقوط.

ولهذه الأفواه أقول: كيف كُتب التاريخ إن لم يُسطّر بدماء من آمنوا بأن الأوطان لا تُسأل يومًا: لماذا ندافع عنها؟ بل يُسأل فقط: كيف فرّطنا فيها؟ انظروا حولكم إلى الدول التى سقطت وتهاوت؛ أكان ينقصها الموارد أم غاب عنها الشعب؟ لقد عاشت تلك الدول السيناريو ذاته تقريبًا، غير أن الفارق الجوهرى بيننا وبينهم كان ولا يزال هنا: شعب مصر. الشعب الذى لم يترك وطنه ويهاجر هربًا من محتلّ أو مغتصب، الشعب الذى يدرك أن قيمة الوطن وأرضه لا تقلّ أبدًا عن قيمة عِرضه وماله، ولا يساوم عليهما مهما اشتدّت المحن.

سرٌّ هذا الوطن فى ناسه؛ فى أمهات ربّين أبناءهن على أن الموت واقفين أشرف من الحياة منكسرين، وفى آباء غرسوا فينا أن الأرض التى ارتوت بدماء الشهداء لا تُباع ولا تُهانً، السرٌّ فى شعب قد يختلف، وقد يتعب، وقد يئنّ من قسوة المعيشة والظروف، لكنهً لا يُسلّم مفاتيحه لأحد.

وإنٍ كان لهذا الوطن سرٌّ واحد لا يُختصر، فهو أننا لا نحبه لأنه كامل، بل نحميه ونصونه لأنه وطننا... وهذا وحده كافٍ ليبقى.

يناير ١٩٧٧: غابت السياسة... فانفجر الشارع



بقلم: محمد حماد

بعد خمسين سنة مرت على ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، لم تعد تلك الأيام قابلة للاختزال فى توصيفات سريعة من قبيل «انتفاضة خبز»، كما لم يعد مقنعًا إدراجها فى خانة «انتفاضة حرامية» التى استقر عليها الخطاب الرسمى زمنًا طويلًا.

ما جرى فى تلك الأيام كان أوسع من أزمة معيشية، وأعمق من اضطراب أمني؛ كان لحظة كاشفة، من تلك اللحظات النادرة التى يرفع فيها التاريخ الغطاء عن بنية العلاقة بين الدولة والمجتمع، ويكشف حدود السياسة حين تنفصل عن الاقتصاد، وحدود القرار حين يتجاوز قدرة الناس على الاحتمال.

لم يأت الانفجار . يقينًا . من أجل رغيف ارتفع سعره، بقدر ما عبّر عن إحساس عام بأن موقع الدولة من المجتمع يتغيّر دون إعلان، ودون شرح، ودون تفاوض.

الدولة التى اعتادها الناس، منذ يوليو ١٩٥٢، بوصفها راعيًا وضامنًا، بدت فجأة وكأنها تعيد تعريف دورها باعتبارها جابيًا ومنظّمًا للسوق أكثر من كونها شريكًا اجتماعيًا. ه

ذا الانتقال لم يُقدّم بوصفه خيارًا وطنيًا، ولا كتحول له أثمان موزعة بعدالة، بل فُرض كأمر واقع باسم الضرورة الاقتصادية، فكان طبيعيًا أن يُستقبل بالرفض لا بالفهم.

ولذلك، فإن توصيف ما جرى باعتباره انفجار جوع مفاجئ لا يصمد أمام التحليل.

يناير ١٩٧٧ كانت تعبيرًا عن تراكم مكثف من الاختلالات، عبر سنوات قليلة، وعن فجوة اتسعت تدريجيًا بين توقعات مجتمع تشكّلت عبر عقود من الحماية والدعم، وسياسات جديدة تُدار بمنطق مختلف، وتُقدّم بلغة باردة لا ترى فى الناس سوى أرقام فى معادلة مالية.

هنا لم يكن الصدام بين سلطة وجائعين، بل بين تصورين للدولة: دولة المشروع الاجتماعي، ودولة الانفتاح الاقتصادى غير المشروط.

كانت مصر قد خرجت لتوّها من حرب كبرى، محمّلة بشرعية سياسية ورمزية افترضت السلطة أنها كافية لعبور أى تحوّل.

لكن هذه الشرعية، مهما بلغت، لم تكن بديلًا عن عقد اجتماعى مُحدّث يشرح للناس ماذا يُؤخذ منهم، وماذا سيعود عليهم، ومتى.

جرى تفكيك شبكة الحماية الاجتماعية بسرعة سبقت قدرة المجتمع على التكيّف، فى وقت لم تتشكّل فيه بعد بنية إنتاجية قادرة على امتصاص الصدمة.

هكذا تحرك القرار الاقتصادى أسرع من السياسة، وتقدّم الإجراء على الإقناع، فبدت الدولة قوية فى قرارها، لكنها ضعيفة فى قدرتها على تحمّل نتائجه.

فى تلك اللحظة تحديدًا، ظهر الخلل البنيوى فى إدارة العلاقة بين السياسة والاقتصاد.

الاقتصاد أُدير كمسألة تقنية خالصة، تخضع لحسابات العجز والفائض، ولضغوط خارجية لا تُقال صراحة، بينما غابت السياسة عن دورها الطبيعى فى التدرج وبناء القبول العام.

وحين تُدار التحولات الكبرى بلا سياسة، لا يعود القرار مجرد إجراء، بل يتحول إلى صدمة، وتتحول الصدمة إلى احتجاج قم انفجار.

كانت يناير إعلانًا مبكرًا أن السوق لا يمكن أن يحل محل الدولة فى مجتمع لم يُهيّأ بعد لمنطق السوق، وأن الإصلاح الاقتصادى إذا انفصل عن العدالة يتحول إلى عبء لا أفق.

كشفت يناير كذلك عن حدود القرار ذاته. فالقرار، مهما بدا قانونيًا أو ضروريًا، ليس مطلقًا. له حدود غير مكتوبة ترسمها قدرة المجتمع على الاحتمال، وهذه القدرة لا تُقاس بالجوع وحده، بل بالإحساس بالإنصاف والمشاركة.

المواطنون يتحمّلون الفقر حين يشعر الجميع أنه موزع بعدالة أو مرتبط بهدف وطنى جامع، لكنهم لا يتحمّلون الإحساس بأن العبء يُلقى عليهم وحدهم، وأن التحولات تُدار فوق رأسهم لا معهم.

ومن هنا تتجاوز يناير ١٩٧٧ كونها حادثة تاريخية إلى كونها درسًا سياسيًا مفتوحًا.

درسًا للنخبة بأن الاقتصاد فى بلد كمصر ليس شأنًا تقنيًا، بل سياسة بامتياز، وأن المساس بالخبز أو الدعم أو الأجور هو مساس مباشر بشرعية الحكم.

ودرسًا آخر بأن غياب الوسيط السياسى الأحزاب، البرلمان، النقابات . لا يُلغى الغضب، بل يدفعه إلى الشارع بلا لغة تفاوض ولا سقف احتواء.

ودرسًا ثالثًا بأن الأمن، مهما بلغ، لا يستطيع أن يكون بديلًا عن السياسة؛ قد يُنهى اللحظة، لكنه لا يُغلق الأسئلة.

لهذا لم تنتهِ يناير بانتهاء أيامها. بقيت كامنة فى الوعى الجِمعي، مرجعًا صامتًا لكل مواجهة لاحقة بين الدولة والمجتمع.

ظلّت هناك، كخبرة غير مكتوبة، كامنة فى الوعى الجمعي، مرجعًا صامتًا لكل مواجهة لاحقة بين الدولة والمجتمع، بوصفها التجربة التى كشفت أين تنتهى سلطة القرار، وأين يبدأ ردّ الفعل الشعبي. إلى أن عادت لتطفو على السطح فى يناير ٢٠١١، لا بوصفها استعادةً لحدث، بل بوصفها انفجارًا مؤجلًا لسؤال لم يُحسم: كيف تُدار الدولة حين تغيب السياسة، ومن يدفع ثمن هذا الغياب؟

يناير ١٩٧٧، كما يناير ٢٠١١، تاريخان يحملان تحذيرًا قائمًا من سياسات تُدار فوق المجتمع لا معه، ومن نخب حاكمة تخلط بين السيطرة والشرعية، وبين الصمت والاستقرار؛ ترى السكوت علامة رضا، وتتعامل مع الهدوء باعتباره تفويضًا مفتوحًا للاستمرار.

غير أن التاريخ، وإن لم يُعد نفسه حرفيًا، لا يكفّ عن معاقبة من يصرّ على تجاهل دروسه.

فى يناير ١٩٧٧ كان الدرس واضحًا: حين تنفصل الدولة عن الناس، لا يعود الخبز مسألة معيشية، بل يتحول إلى لغة سياسة... وربما إلى لغة مصير.

وفى يناير ٢٠١١ عاد الدرس ذاته، أكثر اتساعًا وأشد قسوة: من دون عدالة اجتماعية، وكرامة إنسانية، وحياة سياسية حقيقية، لا استقرار يدوم، ولا استمرار مضمون، مهما بدا المشهد ساكنًا، ومهما أوحت السيطرة بعكس ذلك.

الكنيسة لا تمثل المواطن المسيحي



بقلم: جمال أسعد

اقترح القس رفعت فكرى فى مقال بالمصرى اليوم بأن يقوم مجلس كنائس مصر بإصدار بيانات تعبر عن مجمل الكنائس المصرية فيما يخص القضايا التى تمس المواطن المسيحى! فيقول: (إن الدفاع عن المواطنة والمساواة وعدم التمييز ليس عملا سياسيا حزبيا بل هو التزام أنجيلى وأخلاقى يتسق مع رسالة الكنيسة). ويضيف: (أن إصدار بيانات مشتركة فى القضايا التى تمس المسيحيين والمواطنة ليس خروجا عن دور الكنيسة. بل رسالة طمأنة وترسيخ لدولة المواطنة).

بداية، فدولة المواطنة والقانون لا تعرف ولا تعتمد على تلك التعريفات الطائفية (مسلم . مسيحى) ولكن دولة المواطنة والقانون تعرف تعبير المواطن المصرى وفقط .

ثانيا: المؤسسات الدينية (كانت مسجدا أو كنيسة) لها مجالات خاصة غير المجال المصرى العام الذى يجمع كل المصريين.

ثالثا: ولذا فالكنيسة لا ولن يكون لها دور لا سياسى ولا لها أى حق دستورى أو قانونى يخول لها الحديث فى شئون المواطن المسيحى خارج الكنيسة فدورها روحى فقط .

القضايا التى تمس المسيحيين والمواطنة ليس خروجا عن دور الكنيسة.

رابعا: هناك مواقف توصف بالوطنية وليس السياسية مثل تعرض الوطن لخطر خارجى يهدد سلامته. هنا يقف الجميع كمواطنين وكمؤسسات مصرية وطنية. وهذا غير الدور السياسى الذى هو دور الحكومة والأحزاب السياسية.

خامسا: هل مجلس كنائس مصر يحمل أى صفة دستورية أو قانونية أو حتى جماهيرية من مجمل المسيحيين لكى يكون معبرا عن المواطن المصرى المسيحى فيما يخصه بعيدا عن المواطن المصرى المسلم! هنا لابد أن تكون هناك مؤسسة دينية إسلامية تعبر عن المواطن المصرى المسلم! ولذا يصبح هذا المقترح دعوة وتكريس للقسمة الطائفية التى هى نقيض لدولة المواطنة والقانون التى تحاول التحدث باسمها!

سادسا: تقول إن إصدار بيانات تخص المسيحيين هو دور الكنيسة للطمأنة! ، هل دور الكنيسة الدينى والروحى هو رعاية المسيحى روحيا وإعداده كمواطن مصرى ينتمى للوطن. أم أن دورها الدفاع عن المسيحى خارج الكنيسة كممثل سياسى له فى مواجهة الدولة والآخر غير المسيحى كى يطمئن! وما هى وسيلة الاطمئنان هذه؟

سابعا: تحدثت مع القس تليفونيا وضرب لى مثلا بموقف وزير العمل وأجازات المسيحيين على اعتباره موقفا يحتاج إلى موقف كنسى موحد. وهو يتناسى أن هذا موقف سياسى فى المقام الأول. لأن القانون أو اللائحة التى أقرت الإجازات كانت عام ١٩٥٣ ولم تبق على أرض الواقع عمليا والإجازات المسيحية هى يقوم بها كل الطوائف. أى أن الواقع تخطى اللائحة غير العملية والتى شرعت فى مناخ طائفى وهذه مهمة السياسيين والبرلمانيين والأحزاب وليس الكنائس!

ثامنا: هذا اقتراح طائفى بامتياز يعطى الكنائس ما ليس لها. بل يكرس الطائفية والقسمة التى لاعلاقة لها لا بالمواطنة ولا دولة القانون. ولن تكون مواطنة ودولة قانون مدنية مع مثل تلك الأطروحات الطائفية التى تتحدث عن مسلم ومسيحى وتقحم المؤسسة الدينية فى أدوار غير دورها الروحى والروحى فقط . الكنيسة ليست حزبا سياسيا. حتى تظل مصر وطنا لكل المصريين. والخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية. حمى الله مصر وطنا لكل المصريين. وحفظ الله شعبها العظيم.

على نار الحطب تُروى الحكاية

إبراهيم شعبان يحول الريف المصري إلي مقصد سياحي عالمي



حين يتكلم الغيط... يد تطبخ وذاكرة تحكي.. تتحوّل البساطة إلى لغة يفهمها العالم

- تلقيت عروضا من دول الخليج ولكن الطبيعة المصرية لا تصنع!



فى عالم تسوده السرعة، وتتشابه فيه الصور، وتفقد فيه الحكايات روحها وسط زحام "الترند"، يصبح الصدق عملة نادرة، وتتحول البساطة إلى فعل مقاومة.

هنا، تحديدًا، يظهر إبراهيم شعبان كحالة مختلفة، لا تشبه ما حولها، ولا تحاول أن تشبه أحدًا، شاب خرج من قلب الريف المصري، من "الغيط" حيث الأرض تتكلم، والنار تُشعل الحكايات، والإنسان ما زال يحتفظ بملامحه الأولى، ليقدّم للعالم صورة أخرى عن مصر... صورة لم تُلتقط من خلف زجاج الفنادق، ولا صُنعت داخل استوديوهات لامعة، بل وُلدت من رحم الأرض نفسها.

ما يفعله إبراهيم شعبان يتجاوز حدود الطبخ، ويتخطى فكرة المحتوى بمفهومه التقليدي. هو لا يقدّم "وصفة"، بل يستدعى ذاكرة كاملة؛ ذاكرة القرى، وموائد الأجداد، وأيام كانت فيها البساطة أسلوب حياة لا خيارًا.

فى كل مشهد، نرى يدًا تعرف الأرض، ونارًا تعرف الصبر، وأكلًا لا يُطهى فقط ليُؤكل، بل ليُحكى، هكذا يتحوّل المطبخ الريفى من مساحة يومية عادية إلى رسالة ثقافية وإنسانية، تحمل فى تفاصيلها هوية مصر الغائبة عن كثير من السرديات الحديثة.

من وسط الغيط، ومن بين أدوات بسيطة وطقوس قديمة، أعاد إبراهيم تقديم الريف المصرى باعتباره كنزًا سياحيًا وإنسانيًا لم يُستثمر بعد كما يجب.

كنز قادر، إذا قُدّم بصدق، على أن يجذب العالم كله، لا بوصفهَ "فلكلورًا"، بل تجربة حياة حقيقية، يعيشها الزائر بكل حواسه، ويتعلّق بها كما لو كانت جزءًا من ذاكرته الشخصية.

هذا الحوار ليس عن "صانع محتوى"، بل عن مشروع رؤية، وعن شاب قرر أن يتمسك بجذوره فى زمن الهروب منها، وأن يجعل من الأرض التى نشأ عليها منصة عالمية، ومن الأكل الريفى لغة يفهمها الجميع.

هنا، يحكى إبراهيم شعبان لـ"المشهد"، رحلته منذ البدايات الأولى، والاختيارات الصعبة، والتحولات المصيرية، وصولاً إلى حلم كبير يسعى من خلاله لتحويل الريف المصرى إلى مقصد سياحى عالمي، يحمل اسم مصر كما يجب أن يُحمل... بصدق، وبساطة، وكرامة.

● فى البداية... من هو إبراهيم شعبان؟

- أنا عمرى ٣٢ عامًا، من قرية تفهنا العزب مركز زفتى بمحافظة الغربية نشأت فى بيئة ريفية بسيطة، لكنها مليئة بالتفاصيل الإنسانية الجميلة التى شكّلت شخصيتى ووعيى منذ الصغر، وبقيت جزءًا أصيلًا من تكوينى حتى اليوم.

● هل كان طريقك واضحًا من البداية؟

- لا، لم يكن واضحًا، درست فى البداية مجالًا تكنولوجيًا بعيدًا تمامًا عن ميولى الحقيقية، وكان اختيارًا عائليًا أكثر منه قرارًا نابعًا مني. مع الوقت، شعرت أننى أسير فى طريق لا يشبهني، فقررت التوقف وإعادة التفكير، واخترت دراسة السياحة والفنادق، لأنها الأقرب لروحى وطموحي.

● متى بدأت علاقتك بالطهي؟

- منذ طفولتي. حبى للأكل لم يكن عابرًا، بل شغف حقيقي. كنت أستمتع بالطهي، وأحب تجربة الأكلات البسيطة، وكنت ألاحظ دائمًا إعجاب من حولى بما أقدمه، والدتى كانت تقول إن الأكل من يدى له طعم مختلف، وهذا شجعنى كثيرًا.

● هل عملت فى مطاعم قبل مشروعك الحالي؟

- نعم، عملت فى مطاعم وأماكن كثيرة، وبدأت من الصفر. تعلّمت خطوة خطوة، واكتسبت خبرات مهمة. لكن هذه التجربة كشفت لى شيئًا مهمًا: الأكل الذى تربيت عليه فى الريف، بطريقته البسيطة والموروثة، يحمل روحًا وصدقًا لا يمكن تعويضهما داخل أى مطبخ حديث.

● كيف وُلدت فكرة "أكلات الغيط"؟

- أنا عاشق للطبيعة والريف والتصوير، كنت أطبخ فى نفس الأرض التى نشأت فيها، وسط الغيط والهواء الطلق، وأنا مستمتع بكل التفاصيل.

فى لحظة ما، شعرت أن ما أعيشه نعمة حقيقية يجب أن تُوثّق وتصل للناس، الأكل الريفى له طعم مختلف، والطريقة المصرية القديمة تحمل قيمة كبيرة، خصوصًا للأجيال الجديدة التى لم تعش هذه التجربة.

● هل درست التصوير بشكل احترافي؟

- لا، لم أدرس التصوير أكاديميًا، لكنى مؤمن أن ما يخرج من القلب يصل للقلب. العين التى تحب الشيء ترى جماله، اعتمدت على الإحساس، وعلى التفاصيل الصغيرة، شكل الطعام قبل إعداده، حركة اليد، شكل الأرض، وروح المكان.

● كيف تختار ما تصوره؟

- أبحث دائمًا عن الجمال، حتى فى أبسط الأشياء. ركّزت على المتعة البصرية، والإحساس بالمكان، وليس الأكلة فقط، أى شيء يمنحنى سعادة حقيقية، أشعر أن من واجبى أن أنقله للناس داخل مصر وخارجها.

● هل ترى فى مشروعك بعدًا سياحيًا؟

- بالتأكيد، وهذا أحد أهم أهدافي، أريد أن أُظهر للعالم جمال الريف المصري، وتنوع مصر الحقيقى فى الطعام والطبيعة والعادات.

● هل عُرض عليك العمل خارج مصر؟

- نعم، بالفعل تلقيت اهتمامًا من أجانب يرغبون فى خوض تجربة سياحة ريفية حقيقية، وهذا أكد لى أن المشروع يخدم السياحة المصرية بشكل مباشر. وتلقيت عروضًا عديدة، خاصة من دول الخليج، مع توفير أماكن طبيعية للتصوير، لكنى رفضت، الريف المصرى لا يُصنع ولا يُستنسخ، وما لدينا حقيقي، وأى ابتعاد عن المكان والجذور يفقد المشروع روحه.

● ما الرسالة التى تسعى لإيصالها؟

- توثيق حياتنا كما هي، ونقل صورة صادقة عن كيف عاش أجدادنا، وكيف كانت البساطة أسلوب حياة، هذه الرسالة أهم عندى من أى شهرة أو عائد مادي، وسأظل متمسكًا بها.

● وما خطتك للمستقبل؟

- طموحى بلا سقف، أعمل على تطوير المحتوى والتصوير، وأسعى لتحويل المكان إلى مقصد سياحى ريفى متكامل. حلمى أن يأتى الناس من كل دول العالم ليشاهدوا مصر الحقيقية، مصر الأرض والإنسان والعيشة الأصيلة.

(إبراهيم شعبان لا يقدّم محتوى، بل يوقظ ذاكرة. مشروعه دعوة صادقة لاكتشاف مصر من بوابة الريف، حيث تتحول البساطة إلى قوة، والطبيعة إلى لغة، والطعام إلى حكاية.

وفى عالم يبحث عن المختلف، يثبت إبراهيم أن الأصالة ليست مجرد ماض جميل، بل مستقبل سياحى واعد، قادر على أنً يحمل اسم مصر إلى العالم بكل فخر.)

أميرة الشريف

كيف أبني شعورًا بقيمة الذات لا يتلاشى باستمرار؟

كتبت إليانور جوردون سميث، كاتبة عمود النصائح، "أننا غالباً ما نربط تقديرنا لذاتنا بأهداف قصيرة المدى ومعايير عامة، لكن ما يجعلك متفردا هو ما يقدره الآخرون حقاً"، وفيما يلي نستعرض كلماتها:.

ما زلت أنتظر أن أشعر أخيرًا أنني كافية. لقد عملت بجد، وأنا بصدد تغيير مساري المهني لأكون أكثر خدمة للآخرين، وخضعت للعلاج النفسي. أذهب إلى النادي الرياضي، وأتناول الطعام الصحي، وأنجزت أشياءً أفتخر بها. ومع ذلك، لا شيء يدوم. في كل مرة أحقق فيها هدفًا، أشعر بنشوة فخر خاطفة، ثم تتلاشى.

لاحظت مؤخرًا كيف أصبح هذا الأمر مرتبطًا بنظرتي إلى جسدي. أتدرب وأتناول طعامًا صحيًا منذ زمن طويل، لكنني ما زلت أشعر بالخجل عندما أنظر في المرآة، كما لو أنني فشلت في اختبار غير مرئي. يقول لي الناس إنني أبدو رائعة، لكن كلامهم لا يُقنعني. هناك شعورٌ خافت ودائمٌ بعدم الكفاءة يتردد في داخلي، مهما فعلت.

الأسوأ من ذلك أنني أعرف ما يحدث. أستطيع أن أُسمّيه: الخجل، والحاجة إلى تأكيد خارجي. لكن تسميته لا تُزيله. أشعر وكأنني أُجري تشريحًا لا ينتهي لثقتي بنفسي، مرارًا وتكرارًا، باحثةً عن سبب انهيارها.

كيف أتوقف عن العيش هكذا؟ كيف أُرسّخ شعورًا بقيمتي لا يتلاشى من بين يدي باستمرار؟

تقول إليانور: يُقدّم العام الجديد طرقًا عديدةً لإثبات أننا كافون أخيرًا. تقويم جديد، روتين جديد، نظام غذائي جديد، أنا جديدة. الكثير منها مادي: الجسد كرمز للقيمة، والإنجاز، والانضباط. بالنسبة للكثيرين، كما وصفت تمامًا، لا يتحقق هذا الوعد – يبدأ الأمر وكأنه محاولةٌ يائسةٌ لسد فجوة. أُواصل تقديم الأدلة على جاذبيتي وإنتاجيتي، فلماذا لا أشعر بالاكتفاء؟ لماذا لا يُجدي ذلك نفعًا؟

تحمّلوني قليلًا، لكنني أعتقد أن النظر إلى المستقبل قد يكون وسيلة مُفيدة لتصحيح هذا الشعور. نحن فانون. سنشيخ. ستظهر التجاعيد والشيب. ستشعر بالتقدم في السن. سيموت من تُحب. ستموت أنت أيضًا.

أعلم أن هذا يبدو كئيبًا؛ فعبارة "حسنًا، ستموت" ربما لم تكن ما توقعت سماعه ردًا على سؤال "كيف يُمكنني بناء شعور بقيمة الذات؟".

لكنني لا أقصدها بالعدمية فحسب. فحقيقة الموت تُجبرنا على التفكير بوضوح فيما هو قيّم فينا. الوضوح الذي قد يغيب في خضم سعينا اليومي للسيطرة على جداولنا وأجسادنا. ماذا تريد أن يُقال في جنازتك؟ ما الذي سيفتقده أحباؤك فيك؟ من المؤكد تقريبًا أن الإجابة لن تكون عدد مرات ذهابك إلى النادي الرياضي، أو طريقة تحضيرك للوجبات، أو مدى إتقانك للأمور التي يُفترض بك فعلها لتكون جيدًا بما فيه الكفاية. ها هو يرقد، رحمه الله؛ لقد تناول الطعام الصحيح. نجتمع لنحرق جثمانها؛ يا له من خصر نحيل!

إن الأشياء التي ستُخلّد ذكراك في العمر والموت ستكون فريدة من نوعها. ستكون مزيجًا مميزًا من الصفات التي تميزك أنت وحدك. لن تكون مدى التزامك بالمعايير العالمية – وخاصة تلك المتعلقة باللياقة البدنية، أو شكل جسمك.

أجد أن التفكير في هذا الأمر قد يكون وسيلة مفيدة لبناء تقدير ذاتي حقيقي يخصك أنت. قد نقع في خطأ غريب عندما نحاول إثبات قيمتنا لأنفسنا: فنحن نقيس أنفسنا على فترات زمنية قصيرة، وبمعايير عالمية. تُقيّم الحياة بقلق يوميًا وساعةً بساعة: هل استغللت وقتي على النحو الأمثل؟ هل حققت أهدافي؟ هل أرسلت رسائلي الإلكترونية؟ هذا لا يُنمّي شعورًا بالثقة بالنفس، لأنّ إنجاز هذه المهام ليس ما نُقدّره حقًا في الناس، بما في ذلك أنفسنا، عندما نفكّر في الحياة ككل.

أحيانًا، عليك أن تنظر من خلال عيون أقرب الناس إليك لتفهم سبب استحقاقك للتقدير. هذا المنظور ينظر إلى شخصيتك الفريدة، لا إلى مدى مُطابقتك للتوقعات العامة للإنجاز أو المظهر.

إذا كان بناء ثقتك بنفسك صعبًا، فقد يُفيدك أن تتخيّل كيف تُريد أن يفتقدك الناس بعد رحيلك.

ترجمة: فدوى مجدي

هذا المقال مترجم من الجارديان، المصدر:
How do I build a sense of worth that isn't constantly slipping through my fingers? | Health و wellbeing | The Guardian